

٢٩٤

المقروء من العنوان



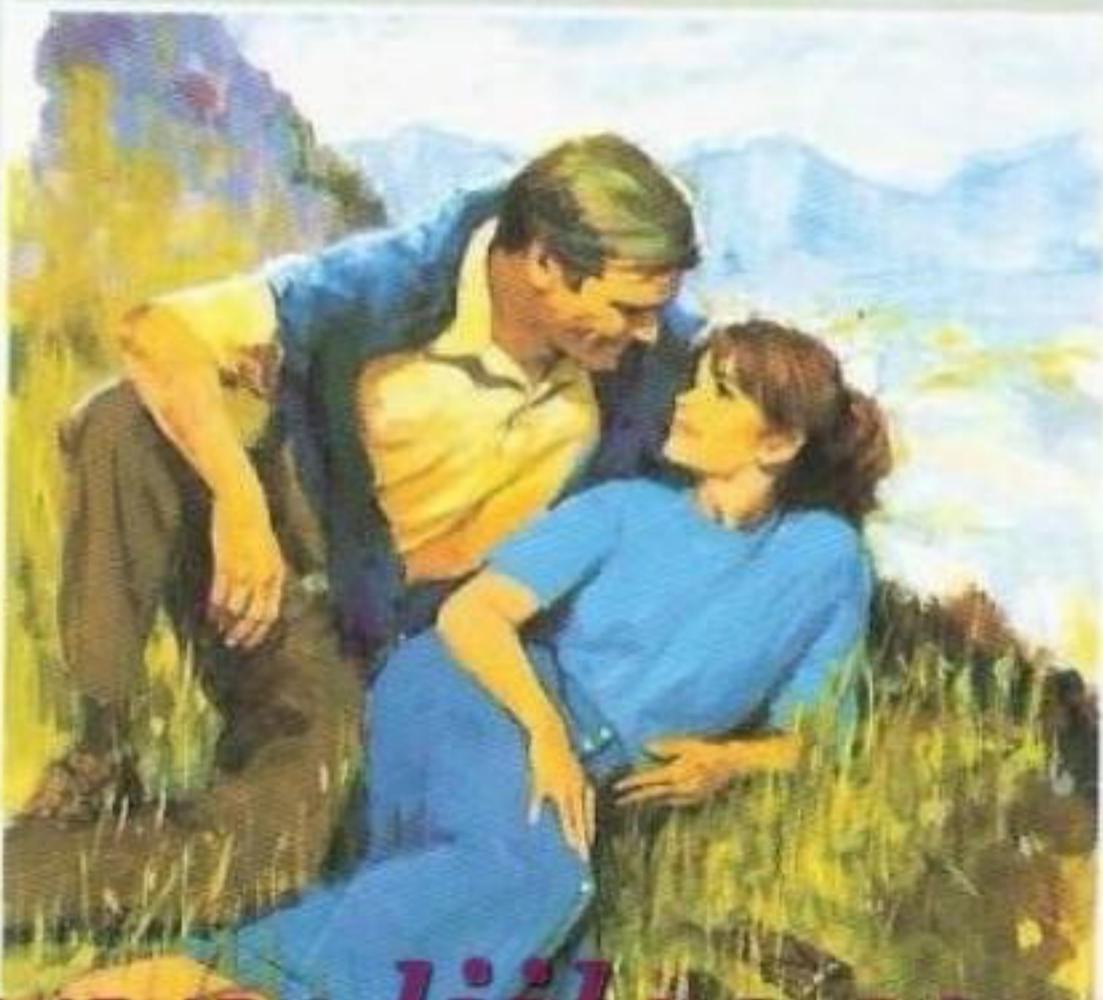
HARLEQUIN

روايات احلام



حب تحت المطر

جيسيكا ستيل



www.liilas.com

www.liilas.com

المعروفه من العنوان

حب تحت المطر

القى عليها الرجل الغريب نظرة حادة قبل أن ينطلق بالسيارة.
ثم سألها: «إلى أين تذهبين؟».
فأجابت بصوت متعب: «إلى أي مكان!».
رد ساخطاً: «أين تريدين أن انزلك؟».
أجابت: «في أي مكان!».

لم تكن تعرف إلى أين تذهب... أو حتى أين هي الآن!
نظر إليها متفحصاً وسألها: «أتريدين أن أعيدك حيث كنت؟».
أجابت مرتجلة، بحدة وجفاء: «لا.. لا أريد العودة إلى هناك
أبداً!».

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١٥ دينار	مصر: ٧ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار

ISBN 9953-15-142-3



www.liilas.com

www.liilas.com

جيسيكا ستيبل

١ - صدمة مزدوجة

انتابها الذعر بحيث لم تستطع أن تفتح الباب الخارجي المتن. ولكنها تابعت حماولاتها مع الحاق مخدومها بها إلى الردهة وهو يهتف بكلمات غير مفهومة: «لا تكوني هكذا..».

لكتها لم تنتظر لسماع البقية بل فتحت الباب بيدين مرتجلتين، ثم اندفعت إلى الخارج تحت المطر المنهمر. لم تتوقف عن الركض إلا بعد أن نظرت خلفها وتأكدت من أن لا أحد يتبعها.

بعد مضي خمس دقائق تحول ركض مالون إلى خطوات سريعة. تبعها هدير محرك سيارة إلى أنه ربما قرر أن يتبعها بسيارته. وعندما لم تمر بها أي سيارة، بدأ الذعر ينملكتها ثانية.

لم يقع نظرها سوى على مساحات شاسعة من الأراضي الريفية غير المأهولة، وعندما أصبحت السيارة يموازها خلوكها الارتفاع لأنها رأت شخصاً آخر غير رولاند فيليبس.

كانت ترجو أن يكون السائق أثني، لذا خابأملها عندما انزلق زجاج نافذة السيارة ووجدت نفسها أمام هيئتين رماديتين عدائيتين: «اصعدني». فأجبت بحدة: «لا، شكرأ».

أخذت تلك العينان تتحسسها للحظة: «كما شائين».

تقىم جيسيكا ستيبل في قرية «ورسترشير» الجميلة مع زوجها الرابع بيتر. يمتلكان كلبة تدعى «ديزي» تظن أنها آدمية وهما لا يحاولان إنقاعها بالعكس؛ فهي تسيطر عليهما سبطة كاملة. كان بيتر أول من شجع «جيسيكا» على الكتابة، وبعد أن تعرضت روايتها الأولى للرفض، ظل يحثها على المحاولة من جديد. لحسن حظها، استطاعت حتى الآن أن تزور كل البلدان التي تحصل فيها أحداث روايتها المختلفة وأن تجري فيها إبحاثاً تساعدها على كتابة القصص. تقول جيسيكا إن الفضل في ذلك يعود لبيتر، لأنه لطالما ساعدتها وشجعها.

لدعوها إلى ركوب سيارته وتوسيخ فرشها الجلدي، هذا إذا كان قوله لها بذلك المخونة: «أدخل»، يمكن أن يسمى دعوة. حسناً، إنه يعلم ما يستطيع.

تنهى إليها هدير عرك سيارة...، فوقفت. كان المطر قد خفت قليلاً. فاستدارت وأخذت تنظر إلى السيارة البدائية للعيان.

نظرت إليها بحدり وهي تدركها ثم توقفت. انزلت زجاج النافذة ووجدت عينيها الزرقاويين تحدقان في عينيك العينين الرماديتين الباردين، وأدركـت أنه لا بدـقام بجولة ليعود أدرجـه إليها.

لم يتـسمـ الرجلـ، لم يـدعـهاـ إلىـ رـكـوبـ دـخـولـ سـيـارـتهـ، بلـ اـكتـفىـ بالـقولـ: «ـهـلـ نـلتـ كـفـاـيـاتـ؟ـ».

رأـتـ كـلامـهـ صـحـيـحاـ، فـشـعـرـهـ الأـشـقـرـ يـلـتصـقـ بـرـأسـهـ، وـثـوـبـهـ أـيـضاـ

بسـاقـيهـ، لاـ بـدـ أـنـهـ أـصـبـحـ الآـنـ أـشـبـ يـعـزـ مـبـلـولـ. تـهـدـتـ وـهـيـ تـرـجـفـ. كـانـ أـمـامـهـ خـيـارـانـ، إـمـاـ أـنـ تـطـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـتـعـدـ، بـشـمـاـ وـحـدـهـ اللهـ يـعـلـمـ مـنـ تـصادـفـ سـيـارـةـ أـخـرىـ، إـمـاـ أـنـ تـصـعـدـ إـلـىـ سـيـارـتهـ.

سـائـلـهـ وـهـيـ تـرـجـفـ: «ـهـلـ تـعـرـضـ عـلـىـ الصـعـودـ؟ـ». رـدـأـ عـلـيـهـ، اـنـحـنـيـ نحوـ اللـقـدـ لـيـقـنـعـ لـهـ الـبـابـ، ثـمـ ضـغـطـ زـرـ زـجاجـ

الـنـافـذـةـ لـيـرـفـعـ مـنـ جـدـيدـ. شـعـرـتـ وـكـانـهـ فيـ زـاـوـيـةـ مـظـلـمـةـ يـتـصـاعـدـ مـنـهـ زـئـيرـ وـحـشـ مـفـرـسـ، وـتـرـدـدـتـ لـلـحـظـةـ. لـكـنـ الشـعـورـ بـالـهـزـيمـةـ غـلـبـهـ.

دارـتـ حـولـ السـيـارـةـ وـصـعـدـتـ إـلـىـ جـانـبـ الغـرـيبـ. وـعـنـدـمـاـ مـذـ يـدـهـ تـحـوـهـاـ قـفـزـتـ عـقـفـةـ. الـشـىـءـ عـلـيـهـ الرـجـلـ نـظـرـةـ حـادـةـ إـذـلـمـ يـفـتـهـ حـذـرـهـاـ مـنـهـ، ثـمـ تـابـعـ إـدـارـةـ جـهـازـ التـدـفـةـ وـتـوـجـيـهـهـ تـحـوـهـاـ.

دـفـعـتـهـاـ الغـرـيـزةـ إـلـىـ الـاعـذـارـ. ، وـلـكـنـ عـلـامـ فـكـلـ الرـجـالـ أـصـحـابـ غـرـائزـ وـهـوـ لـنـ يـكـونـ مـسـتـشـىـ. سـتـكـونـ حـقاـءـ لـوـ ذـكـرـتـ خـلـافـ ذـلـكـ. قـطـعاـ حـوـالـيـ نـصـفـ مـيلـ، ثـمـ سـائـلـهـ: «ـإـلـىـ أـيـنـ تـدـهـيـنـ؟ـ».

يـدـوـ الرـجـلـ فـيـ مـنـصـفـ الـلـلـالـيـنـاتـ مـنـ عـمـرـهـ إـلـاـ أـنـهـ لـمـ يـهـنـ، وـتـابـعـ لـاحـظـتـ مـالـوـنـ أـنـ الـخـوـفـ الـذـيـ تـمـلـكـهـ لـدـيـ مـهـاجـهـ روـلـانـدـ فـلـيـسـ لـهـ خـفـ قـلـيلـاـ.

سـارـتـ مـتـاقـلـةـ لـاـ نـمـلـكـ أـيـ فـكـرـةـ عـنـ مـكـانـ تـقـصـدـهـ. فـماـ تـرـيدـهـ هوـ أـنـ تـبـعـدـ قـدـرـ الـإـمـكـانـ عـنـ روـلـانـدـ فـلـيـسـ فـيـ مـنـزـلـهـ «ـلـلـورـاـ لوـدـجـ». وـكـلـ مـاـ تـذـكـرـهـ هوـ عـدـمـ وـجـودـ بـيـتـ قـبـلـ قـبـلـ أـمـيـالـ مـنـ هـنـاـ. حـذـاؤـهـ الـخـفـيفـ أـخـدـ يـشـنـ لـحـتـ ضـغـطـ خـطـواـهـاـ فـلـمـ يـدـعـهـاـ الـأـمـرـ وـسـطـ هـذـاـ الـمـطـ الغـزـيرـ. لـمـ تـبـالـ بـعـلـاسـهـاـ الـبـلـلـةـ، رـغمـ أـنـهـ أـبـدـأـتـ تـمـنـ لـوـ قـرـ سـيـارـةـ أـخـرىـ تـقـودـهـاـ أـنـثـيـ لـتـوصلـهـاـ مـعـهـاـ.

تـبـدـ خـوفـهـ، وـشـعـرـتـ بـالـبـرـدـ وـالـبـلـلـ وـالـنـعـاسـ. وـقـنـتـ لـوـ أـنـهـ قـبـلـتـ أـنـ يـوـصـلـهـاـ ذـلـكـ الرـجـلـ الغـرـيبـ. لـكـنـهـ بـعـدـ لـحـظـةـ سـخـرـتـ مـنـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ السـخـيـفةـ. لـقـدـ عـانـتـ مـنـ الرـجـالـ مـاـ فـيـ الـكـنـاـيـةـ، فـأـكـثـرـهـمـ فـاسـقـونـ أـعـرـفـ ذـلـكـ فـيـ زـوـجـ أـمـهـاـ وـفـيـ اـبـنـهـ، وـصـدـيقـهـاـ السـابـقـ، عـدـاـعـنـ عـدـوـهـاـ هـذـاـ.

اسـتـرـ المـطـرـ بـالـهـطـولـ بـغـزاـرـةـ، فـتـوـقـتـ عـنـ السـيرـ وـأـخـدـتـ تـقـبـيـمـ وـضـعـهـاـ. لـاـ بـدـ أـنـهـ اـجـتـازـتـ حـوـالـ مـيـلـ بـعـدـاـ عنـ الـمـنـزـلـ. اـنـطـلـقـتـ هـارـبةـ بـهـذـاـ الـثـوبـ القـطـنـيـ الـذـيـ تـرـتـدـهـ وـقـدـ مـنـمـتـهـاـ شـدـةـ الـغـضـبـ، حـيـذاـكـ، مـنـ الـاتـيـاءـ إـلـىـ غـزاـرـةـ الـمـطـرـ، وـمـنـ التـفـكـيرـ فـيـ الصـعـودـ إـلـىـ الطـابـقـ الـأـعـلـىـ لـإـحـضـارـ حـقـيـقـةـ يـدـهـاـ. هـنـهـاـ الـوـحـيدـ آنـذـاكـ كـانـ الـابـعـادـ عـنـ ذـلـكـ السـكـيرـ روـلـانـدـ فـلـيـسـ.

تـابـعـتـ مـالـوـنـ سـيرـهـ، وـقـدـ أـصـبـحـ خـطـواـهـاـ الـآنـ بـطـبـةـ كـثـيـرـةـ وـهـيـ تـدرـكـ جـهـلـهـاـ بـالـمـنـطـقـةـ، وـأـمـلـهـاـ الـوـحـيدـ هوـ أـنـ تـصادـفـ شـخـصـاـ مـعـتـوهـاـ بـخـرـجـ سـيـارـهـ فـيـ هـذـاـ الـجـوـ الـعـاصـفـ، لـيـعـرضـ عـلـيـهـاـ إـيـصالـهـاـ سـيـارـهـ. مـنـ غـيرـ الـمـقـولـ أـنـ بـخـرـجـ كـلـ بـلـبـ منـ الـبـيـتـ فـيـ وـضـعـ كـهـداـ، فـكـيفـ بـأـخـدـ ماـ لـيـعـرضـ عـلـيـهـاـ توـصـيلـهـاـ؟ـ أـلـهـذـاـ السـبـبـ تـوقـفـ ذـلـكـ الرـجـلـ رـمـاديـ الـعـيـنـينـ؟ـ لـمـ يـدـ عـلـيـهـ السـرـرـ

- إلى أين تأخذني؟
 صرخت بخوف وقد نشطت خيلتها. من الممكن أن تُدفن سنوات في
 واحد من هذه الأبنية المتداعية الملتحقة بالمنزل من دون أن يعرف ذلك أحد.
 فقال بصوت هادئ «يتناقض مع صوتها المذعور»: «أنت لا تعلمين إلى
 أين تريدين الذهاب، وأنا لست في مزاج مناسب لأنفك الألغاز. توقفت هنا
 لأنك بعد بعض معدانٍ و...».

نهفت غير مصدقة: «هل تعيش هنا؟».

- بل أعيش في لندن، لكنني أرمم هذا المنزل. لم أكن أنوي القدوم خلال
 هذه العطلة الأسبوعية، ولكن مع هذا الجح المطر، جئت لأرى ما إذا كان
 الجزء المتداعي من السطح قد أصلح.
 بدا لها أن هذا كل ما هو متعدد لقوله، لأنه سرعان ما تابع: «على
 القيام ببعض الأعمال التي قد تستغرق بعض الوقت. أما أنت، فلما أن
 تيقني في السيارة وتصابي بالتهاب رئوي، لأنني بك في أول ملجأ للمترددين
 أصادفه في طريقني، وإما أن تدخل المنزل وتحتفظي ثوبك أثناء انتظارك في
 المطبخ الدافئ».

أخذت مالون تحدق إليه بذهول عدة ثوانٍ. وصعدت لها بالمشعرة جعلها
 تقلل نظرها بيته وبين ثوبها.

رات، بعينين مذعورتين، أن ثوبها كان ممزقاً في أمثلة عدة.
 صرخت بصوت خنوق وند التهبت وجنتها وافرورقت عينها بدمع
 اللذلة.

- إياك أن تحرقي على البكاء أمامي! هيا بنا للدخول.
 قال هذا بلهجة آمرة وهو يترجل من السيارة ليفتح لها الباب.
 لم تخرج من السيارة على الفور، فقد شلّكتها رعب.. لن تدق بأحد مرة
 أخرى بسرعة. ولحسن الحظ، أن المطر قد خف. كان الرجل الغريب
 طويلاً، فانحنى ينظر إليها بينما غافت هي بعناد، ثوبها المكسوف، وبقيت

كان جهاز التدفئة ممتازاً ونكرت في أن تشكره لحساسته، لكنها لم تسا
 ان بدا أي حدث معه، فأجابت بصوت متعب: «إلى أي مكان».
 رد ساخطاً: «أين تريدينني أن أنزلك؟».
 أهو ساخطاً؟ وأجابت: «إلى أي مكان».
 لم تكن تعرف إلى أين تذهب.. أو أين هي الآن، فهي غريبة عن هذه
 المنطقة تماماً.

نظر إليها متضحضاً، وسألاها: «من أين أنت قادمة؟».
 ما زال الحذر يملّكتها، إلا أنها كانت تشعر بالدفء والراحة.
 واستنشفت في صوته الضجر لأنه تصرف كرجل شهم نحو شخص مثلها.
 شلّكتها شعور بأنها إذا لم تغبه حالاً، فسيفتح الباب ويدفعها إلى الخارج.
 كانت السيارة دافئة، وشعرت بإرهاق بالغ يمنعها من العودة تحت المطر.
 فقالت: «من آلمورا الودج. أنا قادمة من هناك».
 ساءلت عما إذا كان يعرف موقع «آلمورا الودج»، لكنها أدركت أنه على
 الأرجح يعلم عندما سألاها: «أتريدين أن أعيدك إلى هناك؟».
 لا. لا أريدـ

أجابت بحدة وجهاء وسحبت نفساً مرتجفاً. وعندما ثمالكت نفسها،
 أضافت: «لا، شكرأً. لا أريد العودة إلى هناك، أبداً».
 ومرة أخرى، شعرت بالعيدين الرمادييدين تتضھصانها، لكن النعـ
 والإرهاق منعها من أن تهتم. وعلى كل حال، هو لم يقل شيئاً وإنما قاد
 السيارة مسافة ميلين، ثم أخذ ببطء السيارة.
 شلّكتها الحذر، فعدا عن مبني مهجور إلى اليمين لم يكن في المنطقة منزل

آخر.
 توجه بالسيارة إلى ما بدا لها الجزء الوحيد القائم من ذلك البيت
 المهجور، ولاحظت عمودين حجريين على جانبي المدخل الذي كُتب عليه
 (هار كوت هاوس).

واقفة في مكانها رافضة أن تزحرج.
- أنت لن ..

ابتدأت بهذا السؤال ثم اكتشفت أنها ليست بحاجة إلى إكماله.
بادلتها العيناين الرماديتان الثابتان التحديق. أثراء، أعجب بها ليتهز
الفرصة؟ نظر إلى مظهرها الرث، ثم قال باختصار: «ولا بعد مليون سنة».
لم يكن رده يحتوي على مدح، إلا أنه طعانيا.

تركها لتلحق به، ثم فتح الباب الخلفي ودخل إلى ورشة العمل.
نزلت مالون من السيارة ثم أخذت تسير بحدار بين معدات البناء.
كانت الردفة الخلفية مظلمة وقد توزعت في أنحائها الألواح الخشبية المتفاوتة
الطول. كان النهار كثيناً، ولكن المصباح الكهربائي مضاء. أدركت أن
عمال الكهرباء ما زالوا يعملون، وأن المنزل «هاركورت هاوس» لم يعد
مهجوراً كما يداها الخارج الأمامي.

ووجدت الرجل يضع إبريق الشاي على النار في مطبخ منظم وكامل
التجهيزات.

وقفت بباب وهي تقول غير واقفة: «بيدو أن زوجتك حصلت على ما
بيمها أولأ».

فقال وهو يفتح درجاً ليخرج منه فوطني مطبخ وبضمها على المائدة
بفريها: «بل اختي. فأنا غير متزوج. وفقاً لأختي فاي، المطبخ هو قلب
البيت. وقد تركتها تنظم حسب رغبتها مع بعض الإرشادات مني».
ابتدأت مالون تشعر بشيءٍ من الارتياح معه. دخلت المطبخ، لكن
عينيها كانت تراقبانه وهو يعد الشاي.

- يوجد جهاز تدفئة كهربائي، لماذا لا تدفين نفسك؟ و بما أنك لا
 تستطعين احتضان ثوبك الممزق طوال الوقت، سأحضر لك قميصاً تلبسه
 أثناء شريك للشاي؟

لم تجب، لكن لهجتها الحازمة جعلتها تعيد عن طرقه وهو يخرج من

الفرقة. وعندما عاد وهو يحمل قميصاً وبعض البطلونات، وجورين
قصيرين، كانت لا تزال واقفة مكانها.

- جهاز التجفيف موجود في تلك الفرقة، كما إن باب المطبخ مزود
بغلق. لم لا تغيرين ملابسك بينما أذهب أنا للاهتمام ببعض الأمور؟
لم تكن مالون مستمحة لتغيير ملابسها. شعرت بأن هذا الرجل يعرف
كيف يتظاهر بالرقة والشهامة، لكنها لم تعد تتخدع بالظهور الخارجي.
تقدمت نحو باب المطبخ وأقفلته.

استعملت المنشفة بسرعة، دون الاهتمام بمظهرها. وضعت ثوبها في
جهاز التجفيف، بينما ارتدت الملابس التي أحضرها لها الرجل. لنت كم
القميص وكذلك ساقى البطلون وحارست في كافية تبتهما. وعندما عاد
الرجل الغريب، كانت تلف شعرها الليل بأكبر مشقة وجدتها شاعرة
يتحسن بالغ.

أثناء فتحها لحزان المطبخ، وجدت فنجان شاي ومعلبات مختلفة
جهزها أخته.

فتحت مالون قفل الباب. وعندما دخل الرجل، قالت له بما يشبه
الاعتذار: «فكرةت في أن أسكب الشاي قبل أن يبرد».

ـ كيف حالك الآن؟

سألها وهو يحمل فنجان الشاي إلى المائدة الفسيحة. قدم لها كرسياً،
ثم جلس في الناحية الأخرى من المائدة.
فأجابتها شاعرة بثقة بعد أن جلت على الكرسي الذي قدمها إليها:
«أشعر بالدفء والخلف».

ـ هل لي أن أعرف اسمك؟

سألها وما يهمان بشرب الشاي. واعترفت بينها وبين نفسها بأن لا
رغبة لها بذلك، بعد ماعاته اليوم.
نابع وكأنه يشجعها على ذكر اسمها: «أدمي هاريس كوبيليان».

- مالون بريوت.

ولم تزد، وساد الصمت في الفرقه.

سألها وهو ينهي فتجاهه ويضعه على المائدة: «هل هناك ما تخين أن تخبرني به؟».

لأشيء.. أخذت تفكّر سراً وهي تحدّق إليه. تألفت عيناها العميقاً الزرقة فيما عاد اللون إلى بشرها الجميلة. جذبت نفاساً مرتعضاً فهي تدرك أنها مدينة لهذا الرجل بأكثر من مجرد كلمة (لا). لم يكن مضطراً لأن يقف ويتشلّها من ذلك الوضع ولا مرغماً على منها بملابس جافة. واعترفت لنفسها بأن شهامة هاريس كوييليان أشعرها بالدفء وأعادت إليها الثقة بالطبيعة البشرية.

سألته: «ما.. ماذا تريد أن تعلم؟».

هز كتفه وكأن ذلك غير مهم، لكنه أجاب: «إنك شابة مليئة بالكتابة، ولا يهمك أين تذهبين، عدا عن نفورك الواضح من العودة من حيث جئت. ربما يُحسن أن تخبرني عما حدث في «آلورا لودج» فأخافك إلى هذا الحد».

لم تشا أن تخبره بشيء كهذا، فسألته: «هل أنت غبي سري؟».

فهز رأسه: «لا، أنا أسكن المدينة وأعمل في الموارد المالية». نكهت من النظر إليه أنه يترى على عرش دنيا الأعمال لأنّه يصلح لهذا المنزل الفسيح الذي يكلف ثروة. ومع ذلك، لم تشا أن تجيب عن سؤاله.

فأعاد صياغة السؤال: «لأي سبب كنت تزورين «آلورا لودج»؟». بقيت على عنادها لا تجيب، ثم اكتشفت أنه يوازيها تصميماً في الحصول على جواب، إذ قال باللحاظ: «آلورا لودج يماثل هذا المكان عزلة. يقتضي الوصول إليه مواصلات خاصة».

- كان عليك أن تكون غبياً سرياً.

ابتدأت تشعر بالاستياء إلى حد لم تعد ترى معه السيد هاريس كوييليان

شهماً على الإطلاق!

- ما الذي أخافك يا مالون وجعلك تهربين من دون أن تجدي وقتاً لتأخذني مفاتيح سيارتك؟
فانفجرت تقول: «لم أجده وتناً آخذ فيه مفاتيح سياري لأنني لا أملك سيارة».

ابسم، فقد جعلها تتكلّم: «وكيف ذهبت إلى هناك إذن؟».
ابتدأت تكره هذا الرجل: «أحضرني رولاند فيليبس من المحطة وذلك منذ ثلاثة أسابيع ونصف».

تكلّمت بعده فاكفهر وجهه: «ثلاثة..».
سكت هاريس كوييليان فجأة وقد أسودت ملامحه، ثم عاد يسألها:
«أنت أقمت هناك؟ مع فيليبس في «آلورا لودج»؟ هل أنت خليلته؟».

فقالت صائحة: «لا. لست كذلك! وما كنت كذلك قط!».
أفضببتها هذه الصفة، ووقفت تحملق في وجه هاريس كوييليان الكريه:
«ولأني رفضت خوشائه تعارك معه اليوم».
وأخذت ترتجف، فوقت على الفور واقرب منها، لكن مالون لم تكن ت يريد أي نوع من المواجهة من أي رجل، فتراجع بسرعة.

وعندما تكلّم، كان صوته هادئاً مواسياً: «هل تعارضت معه؟».
فأجابـت وقد هذا صوتها: «حسناً، لم يضرـني، رغم أنـي أعيـنى من رضـوضـ في جـديـ جـراءـ خـشـونـتهـ، أـنـاـ الـتيـ تـعـارـكـتـ معـهـ، فـيـ الحـقـيقـةـ، لـأـخـلـصـ نـفـسـيـ مـنـهـ. كـانـ يـشـرـبـ وـلـكـهـ لـمـ يـفـقـدـ شـيـئـاـ مـنـ قـوـتـهـ».
- هل استطعت التحرر منه قبل..؟

قالـتـ هـامـسـةـ: «نعم».
شعرت بـإعـيـاءـ لمـجـرـدـ تـذـكـرـهـ ماـ حـدـثـ، ثـمـ أـدـرـكـتـ أـنـ لـوـنـهاـ شـحـبـ
عـنـدـمـاـ قـالـ لـهـاـ: «ـرـبـماـ يـعـذـرـ يـكـ أـنـ تـجـلـيـ، يـاـ مـالـونـ. أـعـدـكـ يـاـ لـأـذـكـ».
بـدـتـ لـهـاـ الـعـودـةـ لـلـجـلـوسـ فـكـرـةـ حـسـنـةـ. عـادـتـ إـلـيـهاـ قـوـعـهاـ، وـكـانـ هـذـاـ

الكتيبة. وكانت بحاجة إلى مكان أسكنه.. ووظيفة؛ وهكذا تقدمت.
ـ هل أجباك خطياً؟

ـ اتصل هاتفياً. إنه يعمل مشرفاً على سلسلة مطاعم في أوروبا. قال إنه
نادرًا ما يأتي إلى بيته هنا.

فسألها هاريس كوبيليان بخليونة: «هل والفت هل العيش معه من
دون أن تسألي عنه أولاً؟».

فانفجرت تقول ساخرة: «أن تصل متأخرًا خير من لا تصل أبدًا». شعرت بالارتياح وكان هذا الرجل الخازم أمدنا بالطاقة، وتابعت:
ـ قال إنه بحاجة إلى أن أبدأ عملي على الفور وقد ناسني الأمر جداً. قال إنه
متزوج و...».

ففاظتها: «هل عرفت إلى زوجه؟».

ـ كانت خارج البلاد، إنها تعمل في مؤسسة خيرية للأولاد وقد سافرت
لتوها. لم أعرف إلا بعد وصولي إلى «المورا لودج»، لكن الأمر لم يزعجني
بشكل خاص. كان رولاند فيليبس يعمل بعيداً عنِّي، أكثر الأحيان. في
الواقع، نادرًا ما كنت أرآه حتى هذه العطلة الأخيرة.

ـ هل هذه أول عطلة أسبوعية يقضيها في بيته؟

ـ نعم. وصل مساء الجمعة متأخرًا. وهو...

وعندما سكت قال يستثثها: «وهو ماذا؟».

ـ حسناً، كان مهلاً مساء الجمعة، وأمس أيضاً، رغم أنني ابتدأت
أشعر بعدم الارتياح.. ليس بسبب ما يقوله بل لما كان يتضمن قوله من
أشياء فاحشة.

ـ ألم يكن عدم ارتياحك كافياً لكي يجعلك تناورين منزله، حينذاك؟
كان هذا تدخلاً من كوبيليان فكرته مالون، وردت عليه بحدة: «وأين
أذهب؟ لقد تزوجت أبي حديثاً، ومن غير المنساب أن أنتقل معها إلى بيتها.
إذا لم أحصل على راتبي من رولاند فيليبس، فلن أستطيع النهاب إلى أبي

كافيأ لنقول بحزم: «لا أريد أن أحدث عن ذلك». عاد هاريس كوبيليان إلى متعدد ثم قال: «لقد أحببت بصدمة. ومن
الأفضل أن تخلاصي منها بالكلام». فرقت عليه بحدة: «هذا ليس من شأنك».

ـ بل هو شأنك! كان جوابه خستاً وعزمت الأمر إلى أنه انتهى من مواجهة الرياح
ومنها ملحاً. تابع يقول بحزم: «إما أن تخبريني يا مالون، وإما...». نظرت إليه مالون، لم عهتم كثيراً بكلمات تلك بينما تابع يقول: «إما
سأضطر إلى التفكير جدياً في أخذك إلى خفر الشرطة لتقديم شكوى محاولة
اغتصاب ضد رولاند فيليبس..».

ـ لن أفعل شيئاً من هذا النوع! قاطعته بقولها. صحيح أن رولاند فيليبس يستحق أن يُتهم بمحاولة
اغتصاب، إلا أن هناك اعتبارات أخرى يجب التفكير فيها. تعلم مالون أن
همة الاغتصاب، وما يصحبها من شهرة، ستب لأمهات كلها خطراً. لكن
أمها بدأت الآن تشعر بالسعادة بعد سنوات من التعاسة، ولن تنسد عليها
تلك السعادة.

وحلفت بعناد في هاريس كوبيليان، فإذا لها نظرها وهو يقول: «الختام
لك».

استمرت تحملق فيه من دون أن يؤثر ذلك فيه. وثار غضبها.. ماذا
جري له؟ هل لأنه أوصلها بسيارته وأعطياها ملابس جافة..؟ حولت
نظرها عنه. لا بد أن ثوبها قد جفت الآن. ونظرت إلى نافذة المطبخ، وتنكريها
اليأس.. فقد كان المطر ينهر بقزارة.

وقالت بحفلاء: «كنت أعمل لديه».

ـ رولاند فيليبس؟

ـ وضع إعلاناً يطلب فيه مدبرة منزل، والأفضلية لمن تحسن الأعمال

لحسن الحظ، كان شعرها قد جفت الآن، وعندما دخل هاريس كوبيليان
المطبخ رأها تنشط شعرها الأشقر الطويل. لم تعرف ما إذا كان عملها هو
الذي جعلها تشعر بمزيد من المعافة، وبالقدرة على تقديم خياراتها بمنطق
أكبر مما فعلت.

قال لها وعبته تأملان لون شعرها الحقيقي: «شكراً على المساعدة،
ملكك كان رائعًا».
لم تستطع أن تقول له إنه كان متواضعاً، لأنه حل الأشياء التقبلة،
فأجابت: «كان عملاً مشتركاً بيننا».

حسب علمها، كان شعرها مثعاً متشابكاً، ووجهها حالياً من أيّ
زينة، كما أنها ترتدي قميص كوبيليان ويطللونه الفوضويين، وبفضل
نقلها حافية في الماء في الطابق الأعلى أصبحت الآن مبللة. قالت بتكلف
مرح: «من الأفضل أن أبدأ بالتفكير في ما علىي أن أفعله».

-شرط الأتموسي إلى آلتورا لودج».
قال هذا فجأة يلهجه عدائية. لديه القدرة للتغيير فقضبها على الفور:
«وهل أبدوغية إلى هذا الحد؟».

نكلمت بغضب، لكنها تعلم أنها ستطلب منه العون، لذا عليها أن
تكبح كرامتها وتتنازل عن علانيتها فقالت مكرهة: «كنت.. أتساءل إن
كنت تتكرم وتوصلني إلى بوركتشير؟».

-وهل تعيش أمك هناك؟
-ليس لدى مكان غيره لأذهب إليه.
-ولكن، ألا تريدين اللذاب إلى هناك؟

-عاشت أمي أيامًا صعبة وهي سعيدة الآن لأول مرة منذ سنوات. لا
أريد أن أسب لها القلق خصوصاً في شهر عسلها. لا أعرف الآن ما العمل.
ساد صمت قصير ثم قال: «أنا أعرف».
نظرت إليه بدهشة.. حذر: «تعرف؟».

ـ هل أنت مفلسة؟
ـ سأها باختصار ولكنها استناتت غيظاً. يكفيها اضطرارها إلى
الحديث عما حدث لها، للآن تضيف أنها لا تملك مكاناً تبيت فيه ليلتها.
ـ نسي أن يترك نقوداً كمحض رف ليته، فاضطررت لإنفاق ما لدي من
دكان القرية الذي يبعد ميلأ.
ـ المفكري أبداً في أن تطلبني منه نفقات للمotel؟
ـ ماذا؟

اعتبرت على استطاعته لها، لكنه عندما نظر إليها ببرودة، وجدت
نفسها تعرف: «بدا لي ذلك مهيناً ففكرت في أن أدع ذلك حتى أسلم منه
أجري». حينها، كان رولاند فيليبس قد شرب الكحول كثيراً أثناء الغداء
ثم.. ثم.. ثم يبدو أنه ظنتي أشجعه عندما قلت له أن يرفع يده الكريهة
عني. لم يخطر بيالي، عندما استطعت الهرب منه، أن أنسكع قربه لأنحدت
إليه عن التقدّم التي يدين لي بها! انطلقت هاربة من الباب بأقصى سرعة.
والآن، هل أكفيت؟».

لم تعرف ما إذا كان راضياً حقاً عن اعتقادها لأن صوت ارتطام عنف
نوقة حرف أفكارها عن أي شيء آخر.

وفي غضون ثانية أصبح هاريس كوبيليان في الردهة وأخذ يصعد السلالم
ركضاً وتبثت مالون. كان المكان عالماً بالماء وأحد أبواب غرف النوم
مفتوحاً. ومن دون تفكير، اندفعت إلى الداخل لتقديم المساعدة. كان
واضحـاً أن السطح لا يزال ضعيفاً ومع ساقط المطر انهار سقف إحدى
الغرف. وسألته: «أين تضعون الدلاء؟».

وبعد ساعة، انتهت تنظيف الغرفة من الماء والخطام وعادت مالون إلى
المطبخ. وكانت قد استعملت الفوطة التي لفت بها شعرها لعدم وجود خرق
لسح الأرض.

- اهدي واصفي إلى ما سأعرضه عليك.
ـ ما سترضه على؟

سأك وعثناها إلى الباب، مستعدة للهرب لدى أي تصرّف منافق يدلل
به.

- استريح، يا مالون، ما سأعرضه عليك واضح للغاية، أنت بحاجة
إلى عمل، مع مكان للسكن، كما أنت بحاجة إلى وكيل عنك هنا.

فحملت فيه: «وكميل؟ هل تعرض على أن أعمل لديك وكيلة؟».

- الأمر عائد لك كلياً، فيما أن تقلي وإما أن ترفضي، ولكن، كما
ترى، المكان يُعاد بناؤه، وأنا بحاجة إلى شخص هنا ليشرف على عمالة
الأدوات الصحية، والتجاريين، والفنين ومثل هذه الأمور. أي ملاحظة
الأمور عموماً، إذا تسبّب الماء من سقف ما. لقد رأيت لتوّي طريقة
معاملتك للأمور الطارئة. وفيما بعد، سأكون بحاجة إلى مشرف على العمال
وعمل الأثاث..

لم يكن بحاجة إلى الاستمرار، فقد أخذت فكره ثانية ولأنها كانت
لتوّها من خدمتها السابق فكرت في أن هذا العمل يناسبها تماماً لفترته
قصيرة، إذ سيمكنها سقفاً إثناء بحثها عن عمل آخر... .

- أين سيكون مركز هذا العمل المثير؟

سأك محاولة إلا تفكّر في أن هذا العمل حل رائع لشاكليها. إذا قيلت
عمل للراقصة هذا، فلن يكون عليها أن تتطلّل على أنها وزوجها في بداية
حياتهما الزوجية معاً.

وأجاب: «هذا المطبع هو، تقريباً، المكان الوحيد المريح في هذا المنزل،
لذا لدينا أنا وأنت، مصلحة مشتركة... .

فقطاعته بارياب: «أين سأتم؟».

تأملها لحظة أوتين، ثم قال بهدوء: «أنت لا تتقين بالرجال، أليس
ذلك؟».

- فلتشغل إنني عرفت ما يكفي من الرجال الذين يظلون أني متلهفة
للخروج معهم.

- وهل لديك تجارب عدا فيليس؟

تجاهلت مالون هذا السؤال. كانت تغريتها مع رولاند فيليس هي
الأسوأ، لكنها لا تزوي أن تخبر كوبيليان عن زوج أمها السابق وابه ولا عن
خطيبها السابق المتقلب العواطف.

ـ عادت تسأله: «أين سأتم؟».

كانت تدرك أن عليها أن تذكر بعذبة في عرض العمل هذا.

- حالياً، هناك غرفتان صالحتان للسكن، لكنهما غير مطلبيين. تكتسبك
واحدة منها وهي تحتوي على الكثير من الأثاث، لكنها غرفتي التي أمضى
فيها عطلة الأسبوع.

ومرة أخرى أفت نظرة سريعة على الباب بينما كان يتبع: «لكنني
سأعود إلى لندن هذا المساء، وبهذا تكون لك حتى أرسل إليك سريراً آخر.
ربما غداً أو الثلاثاء. هل لديك مانع من البقاء هنا وحدك؟».

- لا، أود ذلك.
أجابت بسراحة وصدق، وهي لا تكاد تصدق هذا التحول المفاجئ في
الأحداث.

- هذا حسن.

شعرت نحوه بالمرة وهي تراه لا يشعر بأي جرح في كرامته لأن جوابها
بذا وكأنها تقول إنها لا تمانع حتى لو تركها الآن وخرج.. وأيها تفضل بمده
عنها على صحته. وتتابع هو: «إذا قيلت هذا العمل، فسأرت أمراً إحضار
بعض الأثاث باكراً، وعند نهاية الأسبوع تكونين مستقرة في غرفتك».

- هل ستكون هنا مرة أخرى في العطلة الأسبوعية؟

سأك بتحفظ تتأملها بثبات: «هل أنت دوماً بهذا الاحتراس؟».

- لا، وإنما كنت في الوضع الذي أنا فيه!

معها: «رولاند فيليس هو زوج أختي فاي». نظرت مالون إليه فاغرفة فاما. لم تستطع أن تذكر ما قاله له. ولكن ما تعرفه هو أنها أخبرته بصراحة أن زوج اخته هاجمها عمدًا! ابتدأ الغضب ينسللها من كوبيليان، كيف يغير على ذلك؟ لا بد أنه أدرك أنها ما كانت لتخبره شيئاً عن رولاند فيليس لو علمت أنه صهره! وأدركت أن هاريس كوبيليان لم يغيرها بذلك، لتابع حديثها. لا بد أنه تعمد ذلك... كيف أقدم على ذلك؟

- إذن فأنت قلقة من أن أمشي ليلة معك في البيت نفسه؟ لم تحب، وبعد لحظة قال: «اشترىت هذا المنزل لكي أرتاح فيه آخر الأسبوع. ومن الواضح أن إصلاح «ماركورت هاوس» سيستغرق وقتاً طويلاً. ولكن إذا وافقت على البقاء هنا، فيمكنك الاتصال بي أو بسكرتيرتي عند حصول أي مشكلة، مثل تسرُّب الماء، أو ملاحظة العمال... فاحضرـ أنا وجودي، سأخذك إلى فندق ثم أعود فاحضرك قبل عودي إلى لندن. ما رأيك بهذا؟».

- إلى متى سيمصر هذا؟

سألته ذلك، عالمة بأن عليها أن تكون متلهفة لاقتناس هذه الفرصة. ولكن الخوف ما زال ينسللها، فقالت: «عندما عدًا أعصايني، سأبدأ بالبحث عن عمل أكثر استقراراً».

- لا أظن أن العمال سيبتهرون قبل ثلاثة أشهر، لكنني لن أنسرك بك كل هذه الليلة، إذا وجدت عملاً مناسباً. سحبت مالون نفساً عميقاً، ثم قالت قبل أن تغير رأيها: «أتفضل هذا العرض».

ثم انتهت فجأة إلى ملابسها، فنهضت: «ملابسي. لا يمكن أن أطوف في البيت مرتدية قميصك وبنطلونك ثلاثة أشهر».

فقال بهدوء: «سأخذك بالزيارة إلى «آلورا لودج» لتحضير أمتعتك».

- وهل ستاني معك أيضاً؟

وبدا الخوف في صوتها، فتوتر ذكره: «لن أتركك تذهبين وحديك». قال هذا بحزم، ثم نظر إلى ساعته. عندما نظر إليها، رأت في عينيه نظرة فولاذية، فتسللتها الخبرة وهو يقول: «حان الوقت لأن أذهب وأحدث إلى صهرك».

نظرت إليه بضمت من دون أن تفهم ما قاله. وسألته: «صهرك؟». سار هاريس كوبيليان نحو باب المطبخ، وقد بدا مصمماً على الذهاب

- لقد حصل الضرر فعلاً، فأختي وذلك الرجل انفصلوا منذ ثلاثة أشهر.

نلاش غضب مالون بنفس السرعة التي تصاعدت بها، وقامت: «لم يقل ذلك قط، جعلني أعتقد أنها سافرت لتوها في رحلة عمل».

- هل رأيت في المنزل ما يثبت وجود فاي؟
فأتمت بملل: «ها قد عدنا الآن، بعد أن صرت أعلم، يمكنني أن أرى أنه لا يوجد أي دلالات أثرية في ذلك البيت».

- هل كان البيت بحاجة إلى ترتيب عندما وصلت؟
- كان فعلاً كذلك، هل هنا منفصلان قانونياً؟

لهز رأسه: «إنه انفصال مؤقت بالنسبة إلى فاي، وهي تأمل في أن يعودا إلى بعضهما بعد هذه التجربة».

- هذا مؤلم حقاً، لن يتضح بشيء أن تخبرها عنني.
ملكتها الخبرة لوقوع امرأة تحمل ذرة من الذكاء في حب رجل مثل رولاند فيليس، فكيف يأن تتزوجه وتبقى معه؟
فقالها عابساً: «أتفترجن الآخرين؟ أنتظرين أنه من الأفضل لها أن تعود إليه وهي لا تعلم بما قد يفعل مستقبلاً؟».

- قد تكون على علم بالأمر، لكن حبها له يجعلها تصفح...
فقططعها بخشونة: «ما حاوله معك لا يقبل الصفع».

تنفست مالون وهي ترتجف: «أنا... لن أناشك بهذا».

- هل أنت مستعدة؟ سذهب وتحضر أمتعتك،
شعرت فجأة بالغور من أن ترتدي التوب الذي مزقه رولاند عليها،
وادركت أنها لن ترتديه مرة أخرى أبداً. لم تعتزم استعارة مشط، لأنه لم يعرض عليها ذلك وهي لم تشا أن تطلب منه. وقامت تقول: «أبدو مثيرة للسخرية».

- هل يهمك الأمر؟

٢ - سعيدة بروبيتك

الغضب الذي شعرت به مالون كان عارماً فصاحت به: «كان عليك أن تتكلم، تركتني أخبرك بكل شيء بينما كنت تعلم طوال الوقت...».
فقططعها بحدة دون أن يذير فيه غضبها: «ألم تكن تلك الحقيقة؟ هل تقولين الآن إنك كنت تكذبين؟».

- لم أكن أكذب وأنت تعرف ذلك تماماً.
ردت عليه بحدة، هل ظن أنها خرجت تنزعه من نوبة ثوياً قطعاً في ذلك الجوز العاصف؟
قالتها: «ما الذي يغضبك إذن؟».

- لأن... لأن...
تعلمت قبل أن تمالك نفسها: «ما كنت لأخبرك بشيء لو علمت أنه قريب لك».

- يقربني بالمساهنة.
وصرف بأستانه، بدا واضحاً أن فكرة قرابته لذلك الرجل جرحته.

- هل مستقول شيئاً لأخنك؟
- أعطيني شيئاً وجبياً يعني من أن أخبرها.
حدثت إليه غاضبة: «إذا كنت لا تستطيع أن ترى أن ذلك يضر بزواجهها...».

المسكين بالملقود ورأت أصابع يده اليمنى محمرة قليلاً. تذكريت فجأة تلك الآهة والارتظام، فنهضت به: «هل رأيت رولاند فيليبس؟ لم يكن لطيفاً منه أن يطبع هذا الأمر على يدك».

تكلمت قبل أن تستطيع منع نفسها. فقال مؤيداً قولها: «إنه يستحق ذلك وأكثر».

الفنت تنظر إلى ذاك الصارم، وفمه الحازم، وعيشه الثابتين. كانت تشعر نحوه بالملوقة: «لست بحاجة إلى عذر لكي تضريه».

قالت له هذا وقد تكهنت بأنه كان يكتسب حافزاً لمعاقبة صهره لأنها يعلم أن اخته تريد أن تعود إلى زوجها، ومنته هذا الوضع اليوم العذر الذي كان يتطلع إليه لضرره.

أجابها: «هذا صحيح. ولو سوء الحظ، لا يزال تحت تأثير الشرب، ولهذا اضطررت لضربه مرة واحدة فقط».

لم تستطع مالون إلا أن تبسم وهي تتصور رولاند فيليبس يتهاوى على الأرض.

وعندما وصلوا إلى «هاركورت هاوس»، حلّ حقاتها صاعداً بها السلم. الغرفتان الصالحان للسكن كانتا متقاربتين. وضع حقاتها في السلم.

الفرقة التي لم تكن تحوي سريراً بعد ثم أرداها الفرقة الأخرى. ووضعت فيها ناي الملاءات والمناشف.

وعندما وقفت مالون متربدة عند العتبة، تابع بعمقها: «سأرتب أمر وضع قلبين لهايدين الغرفتين هذاؤ».

ثم حلّ حقيبة التي بدا واضحاً أنها للليلة واحدة، قائلاً: «عليّ أن أذهب».

ابتدأت مالون ترتيب في أن لديه موعداً هاماً الليلة، وغشت له التوفيق. نزلت معه إلى الطابق الأسفل، متطلعة إلى اللحظة التي يخرج فيها، لتغير ملابسه التي ترتديها.

أغاظتها أنه يراها أيضاً مثيرة للسخرية. ما كان له أن يوافقها وأجابت باختصار: «أبداً».

وتآخرت قليلاً لتنتمل حذاءها الخفي ثم لحتت به إلى الردهة. عندما اقتربا من «المورا لودج»، توترت أعصابها. وبينما كان هاريس يوقف السيارة أمام الباب، ابتدأت ترتجف.

- هل ستدخل معي؟ سأله وهي ترتجف مستعيدة كل الأمور الفظيعة التي حدثت في ذهنها.

وتجأة، شعرت بالخوف يمتدّها من مقدمة السيارة. وأجابها متوجه الوجه: «سأبقى معك خطوة خطوة».

كان الباب الخارجي مشرحاً. ولم يزعج هاريس نفسه بطرق الباب بل دخل بطولة الفارع. ولكن، لم يكن ثمة أثر لرولاند فيليبس، فقال لها:

«سأغيب دقيقة واحدة، فإذا رأيت رولاند تبلي، إصرخي».

انتظرت مالون أسفل السلم بينما توجه هاريس إلى غرفة الاستقبال. وعندما غاب عن بصرها انتظرت بقلق. ثم، خبّل إليها أنها سمعت صوّناً تصيرأ خادناً قد يكون آفة مكتومة ثم صوت ارتظام. لكنها لم تشا أن تغامر لمعرفة ما يجري.

وكما وعد، ظهر هاريس بعد دقيقة واحدة، ولا زمها في كل خطوة وهو يصعدان إلى الطابق الأعلى. وقف بجانبها وهي تحزم حقاتها وتستعيد حقيقة يدها.

كانت مشتبحة، وائلة من أن رولاند فيليبس سيظهر أمامهما في أي وقت، ليزري من يغزو بيته، لكنها عادت إلى السيارة وجلست إلى جانب هاريس من دون أن ترى خدوّنها السابق، وقد ابتدأت تشعر بتحسن.

وعندما خلّفا «المورا لودج» وراءهما، قالت له: «شكراً».

- بكل سرور. أجابها ببررة غريبة وكأنه كان سروراً حتاً. استقرّ بصرها على يديه

سيدي». ناولها بطاقة: «اتصل بي عند الحاجة. هل سنكونين بخير وحدك؟ ألا تخافين؟».

كانت لهجتها جادة، فأجابت: «سأكون بخير. في الواقع، ابتدأت، أشعر بأنني أحسن مما كنت عليه منذ فترة طويلة». حدق هاريس كوريليان إليها متأنلاً، ثم أومأ راضياً وهو يتناول حقيقيه الصغيرة ومقاتيح سيارته: «قد أحضر يوم الجمعة».

ثم خرج. تلك الليلة راودتها أحلام مزعجة جعلتها تستيقظ مرات عدة شاهدة بعدم الأمان وبأن حياتها مهددة، ثم استيقظت مرة أخرى في الرابعة صباحاً عند بزوغ الفجر وابتدأت تشعر بالاحمстан. استلقت مستيقظة تأمل الغرفة بصفتها العالي ونواذها الحالية من النافر. كان هناك بساط كبير على الأرض وخزانة كبيرة.

ادركت مالون أن للنزل سيعود إلى مجده السابق بعد أن يتم إصلاحه.

كانت تحب المنازل الأثرية الفسيحة.. فقد نشأت في واحد منها، وكانت تحب عيناهما. لم تكن تحب الاستسلام للذكريات، لكنها لم تستطع من نفسها من التفكير في أيام طفولتها السعيدة، ووالديها المحبين وخططهما لمستقبلها.. لقد استحال كل ذلك إلى سراب.

كانت هي وأمها تضطران لتناول العشاء من دون والدهما الذي كان جراحاً يكثُر طوال ساعات اليوم، وغالباً ما يتأخر عن وجبات الطعام.

وذات يوم قالت أمها: «ستبدأ من دونه». وإذا بحرس الباب يدق ليطل أحد زملائه الذي جاء ليخبرها بأن سيرس بريتيوت تعرض لحادث سيارة. بذل طاقم المستشفى كل ما بوسعه لإنقاذها، لكنهم علموا من خطورة إصاباته أنهم سيفقدونه.

وفاة الأب حطمته تماماً، وكذلك أمها التي عجزت عن مواجهة ما

عندما رافقها إلى المطبخ، قالت له: «كنت في غاية الشهامة معك، لا أدرى ما كنت سأفعل لو أنك لم تعد أدرأ جك لتنطلق». فقال وهو يخرج عقضة نقوده لبناولها رزمه منها: «وأنت ساعدتني أيضاً. هل نسبت؟ نظراً إلى خبرتك السابقة، من الأفضل أن تأخذني راتبك مقدماً على أن تأخذيه متاخرًا». فابتدأت بالاحتجاج: «لا أريد أن..».

ـ لا تصرفي الأمور، يا مالون. أنا أعلم أنك ستحققين كل فلس منه. لن يكفي أجرك حتى لعمور العمال بالقهوة والشاي يومياً. لم ابتس، وهي المرة الثانية التي تراه مالون فيها يبتسم فأخذت تائبراً غريباً على نبضها بالاحتجاج. وكان يقول: «بما أننا نتكلم عن الطعام والشراب، أعني لنفك وجهة من الملعبات واللحوم التي في الللاجة. إنها عفولة لاستعمالك الشخصي لكل جيداً».

تحولت نظراته إلى فوامها الذي بدا رشيقاً حتى في ملابسها الشنيعة. وجدت مالون مكانها، محاولة كبح شعور بالذعر، ثم تناولت عيناهما الواسعتان بعينيه الرماديتين، فتوقف عن الابتسام: «الديك وجه رائع الجمال، يا مالون، وكذلك قوام يديع للغاية. لقد أصبحت بذعر بالغ، ولكن، صدقيني، لن يحاول كل رجل تعرفي إلى اغتصابك». إنه يكشف بذلك ما كان يرعها، فابتلعت ريقها بصعوبة. هذا الرجل رغم إيجازه في الحديث وحدة طباعه يظهر لها كل رقة وشهامة.

ـ ولو بعد مليون سنة؟ عند ذلك ضحك. وفجأة، شعرت بالارتياح معه حتى أنها ابتسمت له. أدركت أنه تذكر من دون جهد، قوله لها عندما تلكلات في النزول من سيارته خوفاً من نوایاه المبيتة. وأجابت: «شيء كهذا». فقالت بلهجة آمرة: «اذذهب إذن». ثم عادت فتذكرت أنه أصبح الآن رئيسها في العمل، فأضافت: «يا

كانت ترتجف، فارادت أن تلوذ بأمها ونحيرها، لكن رغبتها بحماية
أمها كانت تمنعها. وبدلًا من ذلك، وضعت كرسياً تحت مقهى الباب في
غرفتها.

ثم حدثت مصيبة المصائب بعد مرور ستة واحدة على زواج أمها إذ أخذ
زوجها يلاحظ مالون. لم تصدق في البداية ما حدثتها به غريزتها، إلى أن قال
لها مرأة: «مالون الصغيرة، لم تعودي صغيرة بعد الآن، كما أرى». واقترب
منها عازلاً معاونتها ولعابه يسيل من فمه المسترخي.
وقالت له بصدق: «أشعر بالغثيان!» ثم هربت.

وفيما بعد جلست على سريرها وبكى، لأنها عرفت أنها لا تستطيع أن
تخبر أمها.

تلهفت إلى مقداره بيتهما، فهو لم يعد كذلك على كل حال. ولكن المال
أصبح قليلاً منذ فترة. كانت تعلم أن أبيها تركهما في حالة مالية جيدة،
ولكن، منذ أيام اقترنت عليهما أنها أن تبحث عن عمل، فسألتها مالون عما
إذا كان لديهم مشكلة مؤقتة، فأجبت أمها: «بل هي مشكلة دائمة، يا
مالون».

بدت عليها التعباسة وهي تقول ذلك إلى حد لم تستطع مالون احتماله.
علمت، دون سؤال، أين ذهب المال. فقد كان أمبروز جنكتر ينفق
بسخاء من المال الذي تركه أبوها لهما، ولم يبق منه سوى النزر القليل.
أما ابنه فكان كارهاً للعمل كأبيه، وبالتالي كان يستنزف باستمرار مال
أمها. عند ذلك، قررت مالون أن لا تشارك في استفزاف المورد الذي يبني
لأمها، فتركـت المدرسة ووـجـدت عملاً.
لم يكن ذلك العمل مهمـاً، ولكن الأجر لم يكن شيئاً بالـنـسبة إلى مـنـها.
رغم أنه لم يكن كافـاً لدفع أجـرـة سـكـنـ لها لو تركـت بيـتهاـ كماـ كـانـتـ تـعـنـىـ
أنـ تـفـعلـ.

مرـتـ السنـانـ الآخـيرـاتـ بـيـطـهـ، وـعـنـدـماـ رـاتـ تـدـهـورـ زـوـاجـ أمـهاـ،

حدثـ وبـفـضـلـ المـعـونـةـ الطـبـيـةـ، تـجـاـوزـ الأمـ حـتـهاـ وـلـكـ مـالـونـ لمـ تـسـطـعـ
مـنـ نـفـسـهاـ مـنـ التـفـكـيرـ فـقـطـ، تـنـاضـلـ لـكـيـ شـفـىـ.

مرـتـ أيـامـ كـانـتـ مـالـونـ تـمـتنـ لـفـيـهاـ عـنـ الـذـهـابـ إـلـىـ الـمـدـرـسـةـ كـيـلاـ تـرـكـ
أـمـهاـ يـغـرـدـهـاـ، فـانـحـدـرـ مـسـتوـاـهـاـ بـعـدـ أـنـ كـانـتـ فـيـ الـقـمـةـ.

وـبـعـدـ مـرـورـ سـتـيـنـ تـعـرـفـتـ أـمـهاـ إـلـىـ أـمـبـرـوزـ جـنـكـتـرـ. وـكـانـ نـقـيـضاـ لـأـبـهاـ
الـهـادـيـ. كـانـ مـفـاخـرـاـ مـتـبـاهـيـاـ بـيـنـماـ كـانـ أـبـوهـاـ مـتـوـاضـعـاـ، يـتـجـنـبـ الـعـملـ
بـيـنـماـ كـانـ أـبـوهـاـ بـعـدـاـ نـشـيـطاـ. لـكـ، فـيـ الـبـداـيـةـ، يـدـاـ قـادـراـ عـلـىـ إـسـعـادـ أـمـهاـ،
وـلـهـذـاـ تـسـاعـتـ مـالـونـ مـعـهـ كـثـيرـاـ. لـمـ تـسـطـعـ أـنـ تـحـبـهـ، لـكـنـهاـ حـاوـلـتـ جـهـدـهـاـ
أـنـ تـكـوـنـ مـنـصـفـةـ، مـدـرـكـةـ أـنـ حـبـهـاـ الـبـالـغـ لـأـبـهاـ جـعـلـهـاـ غـيرـ قـادـرـةـ عـلـىـ مـقـارـنـةـ
أـيـ رـجـلـ آخـرـ بـهـ.

وـهـكـذـاـ، عـنـدـمـاـ أـخـبـرـهـاـ أـمـهاـ، بـعـدـ أـسـابـعـ مـنـ لـقـائـهـاـ أـبـهاـ سـيـتـزـوـجانـ،
عـانـقـهـاـ مـالـونـ وـظـاهـرـتـ بـالـابـهـاجـ. وـلـأـجلـ أـمـهاـ، رـضـيـتـ بـاـنـتـقالـهـ إـلـىـ
بيـتـهـ. وـكـانـ لـدـىـ أـمـبـرـوزـ اـبـنـ فـيـ السـابـعـةـ وـالـعـشـرـ مـنـ عـمـرـهـ اـسـمـهـ لـيـ وـجـدـهـ
مالـونـ بـغـيـضاـ.

أـمـاـ مـاـ لـمـ تـنـوـعـهـ مـالـونـ فـهـوـ أـنـ يـتـنـقـلـ لـيـ جـنـكـتـرـ مـعـهـ أـيـضاـ. كـانـتـ فـيـ
الـخـامـسـةـ عـشـرـةـ مـنـ عـمـرـهـاـ، وـبـدـلـاـ مـنـ أـنـ تـكـوـنـ مـزـهـوـةـ بـجـمـالـ شـعـرـهـ الـأـشـفـرـ
وـفـوـامـهـ، أـصـبـحـتـ مـيـالـةـ إـلـىـ إـخـفـاءـ قـوـامـهـ فـيـ كـنـزـاتـ فـضـفـاضـةـ، وـثـشـيـطـ
شـعـرـهـ إـلـىـ الـخـلـفـ وـعـقـدـهـ بـسـبـبـ تـحـرـشـ لـيـ التـكـرـرـ بـهـ.

لـمـ تـسـطـعـ أـنـ تـخـبـرـ أـمـهاـ، وـهـيـ الـتـيـ عـاـتـ كـثـيرـاـ، رـفـمـ أـمـهاـ أـوـشـكـتـ عـلـىـ
ذـلـكـ ذاتـ يومـ حـيـنـ دـخـلـ لـيـ غـرـفـتهاـ. صـرـختـ بـهـ: «أـخـرـجـ مـنـ هـنـاـ!»
لـكـنـ، وـبـدـلـاـ مـنـ أـنـ يـتـرـكـ غـرـفـتهاـ، تـقـدـمـ أـكـثـرـ إـلـىـ الدـاخـلـ وـحاـولـ
مـعـانـقـتـهـاـ.

عـضـتـ.. فـاهـيـلـاـ عـلـيـهـاـ بـالـسـبـابـ، لـكـنـهاـ لـمـ هـنـمـ. وـعـنـدـمـاـ أـجـبـرـهـ عـلـىـ
تـرـكـهـاـ لـمـ تـبـقـ فـيـ غـرـفـتهاـ.

التفاصيل والأوراق اعتبر أن أمها تلقت من زوجها نصيحة سيئة، وأن هناك احتمال أن يكون زوجها قد وضع المال في جيده دون أن يستغله في أي مشروع، وبإمكان أمها أن ترفع عليه دعوى.

- من الأفضل أن أطلقه.

وهدفت مالون استحساناً لهذه الفكرة. لكن الأشهر تالت. كان أمبروز يتصرف كرجل أعزب، لكنه لم يشأ أن يطلق، كما يبدو، فأخذ يعيق الأمور. وكان جون فروست موجوداً دوماً في قسم لأمها ويشجعها عندما تذهب إلى مكانه للاحتفاظ بالإجراءات.

انطلقت مالون وأمها إلى شقة صغيرة استهلكت أجرتها معظم راتب مالون. لكنها لم تندمر، فقد كانت مبهجة بالعيش في مكان بعيد عن جنكتز وابنه.

تم طلاق أمها يوم عيد مولد مالون العشرين، فأخذها جون فروست بصفته صديقاً لها، للعشاء احتفالاً بالمناسبة. كان ضيقهما المالي شديداً للغاية، وحاولت الأم أن تعيل نفسها، لكنها لم تكن معتادة على العمل خارج البيت. ولم تستطع مالون احتمال ذلك. لا بد أن أيامها كان ليقصد للطريقة التي تعامل بها الحياة حبيبته إيفلين.

وقالت مالون بإصرار: «أنت لست مضطرة للعمل. يمكننا أن نتدبر أمرنا».

نظرت إليها أمها غير واثقة: «ولكن علي أن أساهم بشيء»، إنه ليس إنصافاً... .

- لكنك تساهمين، فأنت ربة منزل رائعة. حاولت إيفلين أن تجادل، لكن مالون رأت أنها غير مفتونة في سرها. وأخيراً أذاعت أمها، بعد أن استعملت مالون كل طرق الاتصال التي تعرفها. بعد ذلك، عاشتا على راتب مالون. وابتداً كل شيء يتحسن فجأة. خرجت مالون وأمها لتناول العشاء مع الأرمل جون فروست مرات عدّة، ثم بادلاته

شعرت بالسرور لعدم تركها البيت. أدركت الأم حجم الخطأ الذي اقترفه بالزواج من أمبروز جنكتز، لكنها لم تكن تملك القوة للقيام بأي شيء لمواجهة انفصاله في اللهو والعبث. كانت مالون تعرف أن أمها تتالم، ولكن عجزها هي الأخرى عن القيام بأي شيء لخفف عن أمها جعلها تبقى لمواساتها. كانت مالون من ناحيتها، تقوم بما في وسعها لصد الأذى والابن دون أن تحس أنها بشيء... .

كان الأب وابنه غائبين ذات أربعاء عندما عادت مالون من العمل فوجدت أنها تبكي.

واندفعت مالون إليها هائنة: «حبيبي، ماذا حدث؟». وعلمت أن أمبروز وأمها انفصلا. ولكن يبدو أن هذا الأمر يمكن سبب يأس أمها، كما أوضحت لها، بل لأنها أصافت، بمحاجة، إلى أمبروز الذي حذّرها عن مشروع مثير قد يضاعف ربحهما على الفور، فيسبحان من الأثرياء.

لم تكن أمها معتادة على التعامل بالذال، فاقتبسها بأن تندين، واضعة متزليها الجميل كضمانة.

بعد ثمانية عشر شهراً انتهت المغامرة بالفشل. وعندما فرغ المال، تركتها أمبروز، حتى أن المنزل لم يعد ملكاً لأمها. قالت الأم باكية: «علينا أن نترك المنزل الجميل الذي اشتراه أبوك لنا!».

من الغريب أن الأم ظلت تتمتع بالقدرة رغم وصول الأمور إلى الحضيض، وتکهنت مالون بأن السبب يعود إلى العذاب الداخلي الذي كانت تعانيه قبل أن تبكي لها بما حدث. وفي الصباح التالي، وقبل أن تتمكن مالون من أن تقول إنها تنوّي أن تبحث عن بيت تستاجر أنه، أخبرها أمها أنها تنوّي الاتصال بشركة محامية لتزوي إن كان يمكن القيام بشيء ما بشأن المنزل.

أسرعت مالون تلك الليلة إلى البيت لتكشف أن جون فروست، رئيس شركة المحاماة التي كان أبوها يتعامل معها يهتم شخصياً بأمها. وبعد دراسة

منذ سنوات لم تر أنها بهذه السعادة، فابتسمت: «تعلم أني موافقة».

نسبت كل شيء عن كيت مورغان عندما تقدمت وتعانقها هم الثلاثة. بقي جون معهما وخدموا دهرًا قاتلين مالون إنما يعرفان بعضهما بعضاً منذ سنوات، فلم يريا سبباً يجعلهما يتذمرون. سيزوجان الشهر القادم وستترك مالون الشقة.

- أترك الشقة؟

- أملك مستقل إلى بيتي يا مالون، وأميتي أن تنتقل أنت أيضاً معنا.

- شكرألك.

أجابت بذلك، فهي لا تزيد أن تفسد عليهما فرحتهما. لكنها كانت تعلم أن مكانها ليس في بيت أمها الجديد.

- إذن استقر الأمر.

ابتسم جون وهو يقول ذلك ثم أخذ يتحدث عن ابنته للتزوجة في إسكندنavia، والتي ستأتي بالطائرة غداً حضور عشاء عائل احتفالاً المناسبة.

- آه..!

هتفت مالون وهي ترى أنها نسبت كل شيء عن كيت مورغان.

- لا تقولي إنك لا تستطعين الحضور، يا عزيزني. هل لديك موعد يمنعك من الحضور؟

- كيت..

- أنا واثقة من أنه سيتفهم الأمر، بهذه مناسبة عائلية.

- طبعاً، سأتصل به.

قالت مالون باسمة وهي تدرك أنها لم تشعر بأسف كبير لإلغاء عطلتها الأسبوعية مع كيت.

وعندما اتصلت به، لم يتفهم الأمر، بل ثار غضبه: «لقد حجزت في الفندق لقد تزوجت أمك من قبل.. فلماذا تدين هذا الاهتمام الآن؟!».

إذا لم يستطع أن يفهم، فلن تحاول مالون أن تشرح له الأمر.

- آسفة. سأراك يوم الاثنين.
كان العشاء رائعًا للغاية.

يوم الاثنين، شعرت مالون بعدم الإرتياح لتخلبها عن كيت، فذهبت تبحث عنه لتعتذر إليه وتحاول أن يجعله يتفهم أهمية وجودها هناك مع أمها. توجهت إلى مكتبه: «كيت».

- مالون، أنا..

قال اسمها في الوقت نفسه وبدون سبب واضح، وبذا عليه الخجل.

- صباح الخير يا كيت.

والثفت الاثنين إلى ناتاشا التي كانت واقفة هناك، مفعمة بحيوية لم يسبق مالون أن رأيا فيها من قبل. منتحهما ناتاشا ابتسامة واسعة، لكنها خاطبت كيت قائلة: «أريدك أن تعلم أنني لم أنعرض لأي مشكلة حين دخلت شقتي الليلة الماضية».

حلفت مالون فيها، ثم ابتسمت. وماذا في ذلك؟ ناتاشا هي صديقة قديمة حميمة لهما: «هل خرجت مع كيت الليلة الماضية؟».

سألتها وهي تشعر بالضيق، لكنها سرت لأن كيت لم بعض عطلة كثيرة تماماً. وفجأة، أنيابها غريرتها إلى أمر ما جعلها ترتجف. كانت تعلم أنها تشعر بالضيق، ولكن لم يشعر بذلك هو أيضاً؟ وسألتها ببطء: «سبق وخرجت مع كيت من قبل، ما الفرق بين تلك المرأة والليلة الماضية؟».

فأجابت ناتاشا: «لم أعد إلى البيت ليلة السبت».

جدت مالون وجهدت ليلدو صوتها مرحًا وهي تقول: «لقد اختلف الأمر الآن. هل استمتعت مع كيت؟».

تألقت عينا ناتاشا: «كان الأمر رائعاً، أليس كذلك يا كيت؟».

فلم يجب.

بقي سؤال واحد لم تتصور مالون، في الأحوال العادلة، أن تلقى، فسألتها بصوت خافت: «هل يقينهما معاً؟».

لو أنه أوصلها إلى بيت أمها الجديد، لتملك الرعب أنها.
 يحب أن تشكره، خصوصاً على ذلك المبلغ الكبير الذي أعطاها إياه،
 ذلك الراتب، كما دعاه. إنه واثق من أنها لن تهرب عند أول فرصة، وهذا
 يعني، من وجهة نظره، أنه يثق بأنها لن تهرب بما يثير لها أحده. الفتت
 لتنظر إلى القرفة العاربة واابتسمت. . فلا يوجد هنا ما يستحق السرقة.
 قررت أن تفحص جهاز تسخين الماء، فاكتشفت أنه يعمل، وأمضت
 وقتاً ممتعاً تحت الدوش. هاريس كوييليان يظن أن وجهها رائع الجمال
 وجسمها بديع. ووجدت نفسها تفك في ذلك. . وفجأة خرجت من تحت
 الدوش. . وماذا يهمها من أمره؟
 ملاحظاته لا تحمل صفة شخصية، ونبذت تعليقاته تلك من ذهنتها. .
 إنها والثقة من أن لديه موعداً هاماً الليلة الماضية مع امرأة عنكبة متقدمة، وهو
 لا يهتم مثقال ذرة بواحدة تدعى مالون بريتويت. لقد صرخ بوضوح أنه يريد
 هذا البيت لقضاء عطلاته الأسبوعية، وناسباً الأمر تماماً.
 تنهدت من دون أن تبسم.

كانت قد أغلقت الباب الأمامي والأبواب الخلفية وأخذت تفحص
 محتوى الثلاجة، شعرت بالسرور وهي ترى أن فاي ملات ثلاجة شقيقها
 بمشتقات اللبن التي تدوم شهوراً. تبيّثت وصول العمال، فسرعان ما
 سمعت قرعاً على باب المطبخ: «الآنسته بريتويت؟ شركتي هي التي تقوم
 بالإصلاح هنا، أنا بوب ميلر. لقد حضر إلينا السيد كوييليان أمس».
 انسجمت مع المدعو بوب ميلر، وهو رجل ينهر الخمسين من عمره. لم
 يسألها من تكون أو لماذا هي هنا.

- حسناً، هل من الممكن أن أدخل وأرى السقف الذي أهان أمي؟
 - طبعاً.

وتدذكرت ما قاله هاريس أمس عن ثروتين جيش العمال بالقهوة
 والشاي، فقالت له: «هل أعدل لك كوب شاي؟».

بدا التردد على ناتاشا، ولكن صداقتهما القديمة جعلتها تحب بصدق
 وهي من البرودة: «نعم، لهذا خرجنا معاً».

نظرت مالون إلى كيت، لم يحاول الإنكار، بل قال: «من الأفضل أن
 نباشر عملنا».

تركتهما وجلست إلى مكتبهما. لم تستمع إلى توسلاه وهو يشرح لها أنه
 كان غافياً منها لأنها خذلتة وأنها هي، مالون، التي يحب.

ادركت، حينذاك، أنها على مفترق طرق في حياتها. لم تعد تريد أن
 تعمل مع كيت وناتاشا. شعرت باستحالة السكن مع أنها وجون فروست
 حين ينزلوجان، لكنها كانت تعلم بأنها إذا أصرت على البقاء وحدها في
 الشقة، ستكره أنها، وهي التي عانت ماغبة الكفاية.

وأخيراً قررت أن ما تريده هو بداية جديدة، عمل جديد، و . .
 ونجاة، جاءها الحل. العذر الوحيد الذي يمكن أن يجعل أنها نقبل
 بعدم انتقالها للسكن في بيتهما الجديد مع جون هو انتقالها للعمل في وظيفة
 جديدة في منطقة أخرى.

أرادت أن تشتري لأنها ثرياً جيلاً ترتديه عند الزواج، ماداً لو وجدت
 عملاً مع مسكن؟ سيكون بإمكانها، حينذاك، أن تنفق كل أجرها على ثوب
 جيل لأنها وناتاشا مسكن بما يقي لديها من تقود يكفيها حتى يعين موعد
 أجراها.

ووقع الخبرارها على إعلان يطلب مدبرة منزل تغيد الأعمال الإدارية،
 ففضلتها على وظيفة عاملة استقبال في فندق لعدم خبرتها بذلك. . أتراما
 خطأ؟ كانت تشعر بأن كيت خذلها بتصرفة، وإذا بها تعرف إلى ذلك
 الحيوان رولاند فيليس ما جعلها تفتت الرجال.

سارت إلى النافذة لتنظر منها إلى الخارج. لقد توقف المطر والحمد لله.
 إذا استمر الصحو ربما يتمكن العمال من القدوم لإصلاح السطح.
 وجدت نفسها تفك في نجاة في أن هاريس كوييليان شهم، بل أكثر من شهم.

منها بوب ابتسامة هريضة: «هذه هي الطريقة المناسبة لبداً الأسبوع».

كان أسبوعاً حافلاً بالعمل، حتى أنها لم تجد صعوبة في ملء ساعات اليوم بالعمل. خلال هذا الأسبوع، تعرفت إلى التجار الذي وضع قفلين في باب غرفتي النوم وأصلاح التوازن في غرف النوم. كما تعرفت إلى شارلي ودين وباز ورون، وهم سباقون متازون، وكين الذي يحب العمل في الهواء الطلق. وتعرفت أيضاً إلى ديل الذي يتحلى بصوت جبل، وكان يبني معظم النهار. وأخيراً كيثن الذي أوصلها بالثاقن عندما ذهب ليجلب بعض الأغراض، من المدينة.

قال لها يشاشة وهو ينزلها أمام السوبر ماركت: «تأخرى قدر ما تثنين، فانا سأغيب دهراً».

اشترت مالون فاكهة طازجة وخضاراً وأطعمة احتياطية وجريدة أيضاً بالإضافة إلى أدوات مكتبية وطوابع بريد. ولكن لم يذبها شيء منها. على أي حال، لم يكن هناك داع للذهاب لأن هاريس قال إن العمال سيقون ثلاثة أشهر، فلم تشأ أن تندفع بقبول أول عمل تراه.

عدا عن السرير الذي وعدها هاريس به، وصلت معه عدة قطع من الأثاث. وضعت مالون كرسين في الصالون الذي كان عارياً كفيف النوم، من ستائر أو السجاد. أما خزانة الثياب والمكتب والكراسي الأخرى فنقلوها إلى غرفة نومها. وبما أنها تحملس، عادة، في المطبخ، وضعت كرسياً مريعاً آخر فيه.

ووجدت أنها تفك في أنها وزوجها جون فروست، وفي هاريس كريليان أيضاً، عاولة أن لا تفك في أمثال كيت مورغان وروولاند فيليبس.

ورغم تعليقه على احتمال إصابتها بالإلتهاب الرئوي، لم تعطس مرة واحدة. ويسكب الأحلام المرعبة التي تراودها، كانت تضطر عدة مرات أثناء

الليل إلى النزول من سريرها لتلوذ بالمطبخ الآمن. عموماً، لم تشعر يوماً بأن صحتها أفضل مما هي عليه الآن.

هل كان هاريس يتوى أن يأخذها حقاً إلى خلف الشرطة لكي تقدم بشكوى ضد صهره؟ لكن الشك تملكتها في إمكانية ذلك ما دامت أخته ترجو أن تعود إلى زوجها بعد أن تنتهي فترة انفصالمها الاخباري.

قال هاريس إنه قد يأتي يوم الجمعة، لذا حزمت مالون صباح الجمعة حقيقتها استعداداً لقضاء عطلة الأسبوع بعيداً، ثم ذهبت تبحث عن كيثن الذي غالباً ما يذهب إلى دكان القرية الذي يبعد ميلين. وسألته: «هل يمكنك أن توصلني معك إلى شروبين في المرة التالية التي تذهب فيها إليها؟».

- بكل سرور.

أجابها بيشاشته المتدادة، وبعد عشرين دقيقة جاء إلى المطبخ يبحث عنها. اشتربت من القرية أشياء مختلفة. وعندما حل ذلك للساء وضعت الأزهار في آنية فوق مدفأة الصالون وعدة بسط في أتجاهه فأصبح الصالون مكاناً مريحاً.

لكن هاريس كريليان لم يحضر. وذهبت مالون إلى سريرها في تلك الليلة، واعية لشعورها الغريب بخيبة الأمل. وسرعان ما أخذت هذه الفكرة من رأسها، لكن تومها كان متقطعاً.

سرها أن تفادر سريرها صباح السبت. فافتسلت وارتدت بنطلون جينز وقميصاً، ثم نزلت إلى الطابق الأسفل لبداً بالعمل.

كان أحد الرجال قد أحضر لها كيماً بعوي خوخاً. وعند اتصاف النهار صنعت فطيري خوخ، وكانت تفك في تحضير الكعك، مدركة أنه سيفند في ثوانٍ، عندما نظرت من نافذة المطبخ ورأت سيارة يقودها هاريس. لم تتوقع رؤيته قبل يوم الجمعة التالية، وابتسمت فجأة. لقد أدرك أنها مسروقة برؤيتها.

بعض التربات الجديدة، والعامل المسؤول عن ذلك لا يمكنه الخضور قبل يوم الاثنين، هل تزید قهوة؟».

خثثت أن يحرجه هذا التغير المفاجئ في لهجة حديثها المائل إلى الحدة.

لكته أجاب: «أود فتجانًا. سأخذ حقبي إلى غرفتي، ومن يعدها تزوديني بكل ما أحتاج معرفته».

سرّها أن يذهب لأنّه منحها فرصة لتمالك نفسها. رباء، ماذا حدث لها؟ لم يبق لها أن شعرت بالتججل أو بعقدة اللسان في وجود رجل. هل انعدد لسانها؟ كما أن الشّرارة التي لم تتوقف هي مسألة أعصاب على الأرجح؟ من المؤكّد أن تجربتها مع رولاند فيليس لم تحطم ثقتها بنفسها إلى هذا الحدا إنها تمنى ألا يكون ذلك قد حصل رغم اعترافها بمعاناتها السابقة مع رجال كزوج أنها السابق وابنه، وصديقتها الخائن كيت مورغان. كانت لا تزال تضمد جراحها عندما حصل ما حصل من شهر هاريس.

عندما عاد هاريس إلى الطبيخ، كانت القهوة جاهزة، وبدأت مالون تظن أنها عادت متماسكة عندما قال: «لقد وصل السرير».

فأسأله على الفور باللهجة عدائية: «وهل كنت في غرفتي؟».

ثلاثت العقوبة من صوته: «اليس مسحوا لي أن الحقن من تنفس تعليمات بشأن التوافذ والأبواب؟».

ردة شيء من الخشونة، فنظرت إليه ثم إلى قهوتها، ما الذي جرى لها؟ هذا بيته ويمكنه أن يفعل فيه ما يريد. ساد الصمت بينهما.

ثم تبددت الخشونة من صوته وسألها برفق: «هل أنت مستاءة؟».

نظرت إليه نعمًا، عازولة أن تفسر سلوكيها: «آسفه، أبدو حساسة أكثر مما يجب. أنا فقط.. أحب عزلي».

لم تتسأ أن تزيد فتشرح له ما حدث لها منذ سنوات، حين كان عليها أن تضع كرسياً تحت مقبس الباب كي تمنع دخول المتعطلين.

٣ - شيء في عينيه

سمعت مالون وقع خطوات هاريس في الردهة، وشعرت فجأة بالتججل عندما دخل الطبيخ، بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين. انعقد لسانها، أما هو فلم يتكلّم على الفور، بل وقف عند العتبة ينظر إليها، وكأنه يراها لأول مرة. عندئذ، لاحظت أن عينيه مستقرتان على شعرها الأشقر ثم نظر إلى قميصها المقلّل وينظر إليها الذي ينطلي ساقيها الطويلتين. وأدركت أنها المرة الأولى التي يرى فيها شعرها غير مبلل أو ملفوف بمنشفة.

قالت بسرعة، شاعرة فجأة بالتججل: «لقد هذلت مظهرني وأصلحته جيداً».

كانت المرة الأولى التي يراها فيها بملابس جافة أية.

أجلّت حملًا أفلت هذه الكلمات من فمها، خشية أن تستدعي تعليقاً شخصياً منه. أبسم فادركت أنه عرف أنها تمنى لو بقيت صامتة.

بدد شعورها بالتوتر بسرعة عندما قال لها: «كنت صاعدة بحقائبي إلى غرفتي، لكنني لم استطع مقاومة رائحة النظائر العابقة في البيت».

شعرت بالتججل مرة أخرى. ما الذي يمنعها من أن تتمالك نفسها؟ ووجدت نفسها تجيب: « أحضر لي ديل كيس خوخ، هنالك بعض الدلاء على فحمة السلم تحبّاً لترسب المياه».

لم تستطع أن توقف عن الكلام: «أصلاح جزء من السقف، ولكن هناك

بصمت، إنها لم ترّ منه غير الشهامة والتهذيب. وغلكها فجأة شعور بالسوء،

فقالت له من دون تفكير: «آسفة».

وعندما حول عينيه لحظة عن الطريق لينظر إليها، تابعت تقول: «لا أدرى لماذا أنا...».

وفضلت عن الكلمة قلم تجد أفضل من الكلمة قالها لها وبدت لها مناسبة الآن: «... لحظة بهذا الشكل».

- أنا أعرف.

أدهشها جوابه الرقيق وقد حول نظره إلى الطريق. وحدقت إلى جانب وجهه: «أنت؟».

- ما زلت تتعالين من الأذى الذي لحق بك الأحد الماضي؟

ذكرت مالون في ذلك، فما عانته من رعب وفزع وهي ترفض تحت سيل المطر المنهر، كان وحده كافياً بغض النظر عمّا حدث من قبل. أضفت طوال الأسبوع في استعادة الصورة المرروعة لوجه فيليس الشهواي وهو يحاول أن يمزق ملابسها. عندئذ، خطر في بالها، أن لا أحد يمكنه أن يشفى على الفور من شيء كهذا. فقالت متازلة: «قد تكون على حق. أرهقتني الذكريات وراودتني الكوابيس».

- ألم تنامي جيداً؟

فأجابـت بمرح: «يختلف الأمر عندما أنهض باكراً لأذهب إلى العمل». قال ببطء: «حسب بوب ميلر الذي اتصـلت به الحمـس، أنت دومـاً مستيقظة وتعـدين إبريق الشـاي أو القـهـوة عندما يصلـعـنـدـ السـاعـةـ الثـامـنةـ إلا رـيـعاـ».

- لم أكن أعلم أن لديك جواسيس هنا!

- هل عـدتـ إلىـ الفـاظـاتـ مـرةـ آخـرىـ؟

لكـنـهاـ لمـ تـجـدـ فـيـ لـهـجـةـ أيـ اـنزـعـاجـ بلـ بـعـدـ دـعـابـةـ. وأـحـبـ تـصـرفـهـ،

لم تـشـكرـهـ: «هلـ لـيـ أـسـأـلـ مـاـ معـنـيـ هـذـاـ؟».

لم تؤثر عليه رغبتها في الشاكـةـ: «أـنـتـ رـحـبـتـ بـيـ بـرـائـحةـ الطـهـيـ...ـ».

ـ وإـذـاـ بـكـ تعـاملـتـ بـحـدـةـ لـنـلـاـ أـكـونـ فـكـرـةـ خـاطـةـ عـنـكـ».

ـ رـأـتـ أـنـ لـاـ شـيـ يـفـوتـهـ، لـكـنـهاـ لـمـ تـهـمـ لـذـلـكـ بـلـ رـدـتـ عـلـيـهـ بـحـدـةـ: «لـمـ

يـكـنـ الطـعـامـ مـنـ أـجـلـكـ بـالـذـاتـ، حـتـىـ وـلـوـ أـسـعـدـيـ تـقـديـمـهـ لـكـ».

ـ وـشـعـرـتـ فـجـاءـةـ بـأـنـهاـ لـمـ تـعـدـ تـسـطـعـ أـنـ تـحـمـلـ، فـتـابـعـتـ تـقـولـ: «لـدـيـ

ـ حـقـيـةـ جـاهـزةـ، سـأـذـهـبـ».

ـ فـسـالـهـاـ بـدـمـثـةـ وـقـدـ تـصـلـبـتـ مـلـاـعـدـهـ: «إـلـىـ أـينـ؟ لـاـ أـعـتـقـدـكـ تـرـحـلـنـ فـقطـ

ـ لـأـنـ...ـ».

ـ أـنـاـ لـسـتـ رـاحـلـةـ، بـلـ ذـاهـبـةـ لـأـيـتـ هـذـهـ اللـيـلـةـ فـيـ فـنـدقـ...ـ هـلـ نـسـبـتـ؟ـ

ـ لـاـ، لـمـ أـنـسـ.ـ لـكـنـتـ ظـنـتـ فـقطـ، نـظـرـاـ لـبـداـبـتـاـ الفـاشـلـةـ، أـنـكـ لـنـ

ـ تـعـودـيـ.

ـ وـلـاتـ لـهـجـةـ مـرـةـ آخـرىـ: «أـهـلـاـ بـكـ إـذـاـ شـفـتـ أـنـ تـبـقـيـ...ـ».

ـ فـقـاطـعـتـ بـخـشـونـةـ: «لـاـ أـرـيدـ ذـلـكـ!ـ».

ـ قـرـدـ عـلـيـهـ بـحـدـةـ: «سـاعـبـنـيـ لـأـنـيـ ذـكـرـتـ ذـلـكـ.ـ سـاعـبـنـيـ لـشـعـورـيـ

ـ بـالـذـنـبـ إـلـىـ حـدـ جـعلـنـيـ أـبـدـوـ وـكـانـيـ أـرـيدـكـ أـنـ تـرـحـلـ».

ـ لـمـ تـشـأـ مـالـونـ أـنـ تـعـذـرـ، لـمـ تـشـأـ أـنـ تـكـونـ هـيـ الـمـخـطـةـ دـوـمـاـ...ـ وـدـونـ أـنـ

ـ تـنـظـرـ إـلـيـهـ، وـتـبـاـقـهـاـ، خـرـجـتـ مـنـ الـمـطـبـخـ وـصـعـدـتـ إـلـىـ غـرـفـهـاـ.

ـ بـعـدـ ثـوـانـ فـقطـ، تـزـلـتـ إـلـىـ الطـابـقـ الـأـسـفـلـ حـامـلـةـ حـقـيـبـتـهـاـ.ـ وـعـنـدـماـ

ـ وـصـلـتـ إـلـىـ الرـدـهـةـ، كـانـ هـارـبـسـ قدـ خـرـجـ مـنـ الـمـطـبـخـ وـوـقـفـ هـنـاكـ حـامـلـاـ

ـ مـقـاتـبـ الـسـيـارـةـ.ـ عـنـدـماـ أـدـرـكـتـهـ، مـذـ يـدـهـ لـبـحـلـ عـنـهاـ حـقـيـبـتـهـاـ،ـ لـكـنـهاـ قـالـتـ

ـ وـهـيـ تـنـتـكـ بـالـحـقـيـقـةـ: «سـأـطـلـبـ مـنـ كـيـفـنـ أـنـ يـوـصـلـنـيـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ».

ـ فـأـجـابـ بـهـدـوـهـ: «سـأـخـذـكـ أـنـاـ».

ـ وـقـبـلـ أـنـ تـبـدـأـ الـجـدـالـ، أـخـذـ مـنـهـاـ حـقـيـبـتـهـاـ وـأـجـلـسـهـاـ فـيـ سـيـارـتـهـ ثـمـ اـنـطـلـقـاـ

ـ مـنـ الـمـنـزـلـ.ـ وـلـكـنـ،ـ لـمـ أـذـكـرـ مـاـ تـحـادـلـهـ؟ـ وـجـدـتـ مـالـونـ نـفـسـهـاـ تـسـأـلـ

الرجل.. كانت تريد أن تبحث عن نزل مناسب يقدم سريراً وإنطكاراً، في حين أنه يريد أن يأخذها إلى أجل فندق في المدينة! عندما أوقف سيارته في موقف فندق كليفتون، صاحت أن لا تدخل إليه.. نظرت إليه بتعاد، فبادلها النظر وقال: «لا تصغي الأمور، يا مالون».

أحست بشيءٍ من الضجر في لهجته.. فشعرت بالذعر، لا شئ أنه يجهد نفسه في العمل وبعده ساعات طويلة ليتحقق النجاح الذي يتمتع به، ربما ترك لندن ليأتي إلى «هاركورت هاوس»، آمالاً في أن يجد الراحة والاسترخاء عدة ساعات قبل أن يعود للكفاح في عالمه.. أنا..

فتحت فمها لتقول لها آسفة ثم ترددت غير واثقة من السبب الذي يجعلها تعذر.. وبديلاً من ذلك قالت: «يدو الفندق متوفياً بعض الشيء.. هل تظن أن ينطلقون الجيزز والقمص القطني سينتابان معه؟».. وقال وجهاً انتس العينان الرماديتان الوودودتان لعينيها الواسعتين، وقال مداعياً: «أنت متكبرة، يا مالون بريوت».

ـ لا، لست كذلك.. كل ما في الأمر أن تربطي سلامة.. أخذت ابتسامته تتبع، فخفق قلبها بشكل غير متوقع.. حولت نظراتها بعيداً، وأمسكت بمقفلن الباب.. وفي الوقت الذي أحضر هاريس حقيبتها ودار حول السيارة لفتح لها الباب، خرجت منها..

يذا واضحاً أنه كان يستعمل فندق كليفتون قبل شراء «هاركورت هاوس» ولاحتنا في اجتماعاته مع المهندسين والمصممين، لأن الموظفين راحوا يعادلونه التحية بالاسم وبذا وكأنه لا يعاني من أي صعوبات.. وفي غمرة عين، وجدت أن غرفة حجزت لها في هذا الفندق المزدحم فيما وقف هاريس ينظر إليها وهو يقول: «سأحضر غداً لأخذك»..

وشعرت بالذنب لتحميله هذا العبء، فقالت بإصرار: «بل

قالت باسمة: «لن أقول آسفة مرة أخرى».. لكنها تابعت بجد: «بالرغم من شهامتك ولطفك، أنت...».. «ـ هيه.. سوف تمنحيني هالة قدس الأنبا.. أشك في قداستك.. إنها شهامة منك أن تترقب الأحد الماضي كما فعلت..

ـ يهمتنا أن نرى إمكانية علاج تلك الذكريات والأحلام.. أتعين أن ترى طبياً نفسياً؟ يمكنني أن أرتبك لك.. «ـ ريا، هذا ليس ضروريًا لو عرفت أنك ستهن بالأمر جدياً لما أخبرتك..

ـ الأمر جاد، يا مالون.. فأنت متورثة معي أغلب الأحيان.. لا أريد أن يتأصل فيك الخوف من الرجال بسبب صوري.. فهنيئت بضيق: «أنا لست خائفة من الرجال! أتحدث إلى العمال طوال النهار»..

وعندما لم يقاطعها هاريس، وجدت نفسها تقول بغضب: «قد أكون حذرة أحياناً، وعلى شيء من الاحتراس، ولكن ليس بسب فيليس وحده..».. وسكتت فجأة، كارهة هاريس لأنه أغضبها إلى حد جعلها لا تتبه إلى ما تقول..

وزادت كراهيتها له عندما نظر إليها وسألها بخشونة: «هل حدث لك تجربة عائلة؟ سيساعدك ذلك من شناعة تصرف قليس».. فاجابت بحدة: «لا أريد أن أحدث عن ذلك، كما أنه لم يكن بنفسه السوء.. اتبه إلى الطريق»..

وعندما رأت أنها أصبحت في الشارع الرئيسي، قالت: «يمكنك أن تنزلني هنا وأنا سوف..».. فثارت أن تضربه بقبضة يدها.. لم تعرف قط مثل هذا تجاهلهما..

سأستقل سبارة أجرة».

- أنطعمن في قيادي؟

ابتسمت ثم ضحكت: «لا أجرؤ على ذلك».

وشعرت بالأمان، ويفي هذا الشعور حتى عندما استقرت عيناه على فمهما.

بعد ذهابه تلك مالون شعور غريب، ليس شعور بالحرمان بالضبط. لم تستطع أن تحدد هذا الشعور، لكنها اعتقدته.

في غرفتها في الفندق، نبذت من ذهنها هذا الهراء. كانت تشعر بالوحدة لا أكثر، فهي لا تعرف أحداً هنا. ثم... حسناً، لقد تغيرت حياتها مؤخراً وعملها، والتخلصت عن صديقها وعن أمها.

وإذ تذكرت أمها، رفعت الساعة الهاتف. منذ عشرة أيام، اتصلت بها أمها إلى «لورا لودج» للذا من الأفضل أن تصل بها. جاء اتصالها في الوقت المناسب لأن أمها قالت لها: «كنت على وشك أن أتصل بك».

هفت السيدة فروست، كما أصبح اسمها، وقد بدلت السعادة في صوتها والسرور بسماع صوت ابنته.

سألتها مالون: «هل تسير الأمور على ما يرام؟».

- بل على أحسن ما يمكن، وجون رقيق للغاية. لقد نسيت تماماً كيف يتصرف الرجل المهدب الحقيقي.

قالت إيلين فروست هذا فكادت مشاهر مالون تخنقها. لا بد أن تلك السنوات المخيفة التي أمضتها أمها مع أمبروز جنكز كانت فظيعة. سألتها أمها: «كيف الحال معك؟ هل رأيت خدومك كثيراً هذا الأسبوع؟».

أدركت مالون أنها تعني رولاند نيليس لأنها أخبرتها في آخر اتصال بينهما أنها نادرًا ما تراه.

لم تستطع مالون أن تفسد على أمها سعادتها الجديدة، فأجبت: «لم أره

منذ الأحد الماضي».

ستتألم إذا علمت بما حدث لابتها مع رولاند نيليس، وربما ستلنج عليها للعيش معها ومع جون لو أخبرها أنها تعلم لدى رجل آخر.

تحدثت مالون طويلاً إلى أمها، ثم وضعت السماعة أخيراً وقد زاد افتئاتها بأن أمها أصابت في الزواج من جون فروست الذي لا يقارن بأمبروز جنكز.

ادركت أن أجرة هذا الفندق مستحدث شرعاً كبيراً في ميزانتها، فاختارت أن تخرج وتشترى طبرة لغداتها.

عادت إلى غرفتها في الفندق قبل العشاء، ففكرت في الخروج وتناول الطعام خفيف في مكان ما. ثم وجدت نفسها تسأله عن المكان الذي يتناول هاريس فيه طعامه. ثمنت أن يأكل من فطيرة الخوخ.. ثم أدركت أنها نظرت في شيءٍ من العطف.

رباه، هي لا تكاد تعرف الرجل صحيح أنه بدا لها أكثر من شهرين، لكنه، على كل حال، لن يموت جوعاً. إذا لم يود أن يعذ عشاء، ينفع ليتمكنه دوماً أن يقود إلى المدينة لتناول العشاء.

ربما سيأتي إلى فندق كليفتون لتناول العشاء. جعلتها الفكرة تقرر الخروج، فربما لديه صديقة هنا، إنه رجل حر غير ملائم عاطفياً.

وفجأة، أخذت تشعر بالاضطراب. عليها أن تسأله كما أن قاعة الطعام واسعة تسع لهما معاً. أفرغت حقتيها ثم سارت إلى الخزانة وأخرجت بنطلوناً أبيقاً وبلوزة.

عندما تزلت، كانت غرفة الطعام مزدحمة بالزبائن، ورأت مجموعة كبيرة تختلط بشيءٍ ما، كما يبدو. لكن هاريس لم يكن موجوداً.

شرعت مالون بتناول الوجبة التي طلبتها، وعندما أخذت تتناول الحلوي، أدركت أن الحفلة كانت احتفالاً بالبيول الذهبي لروجين. لم تكن تنظر بالتجاههم بشكل خاص، ولكن لم يفتها رقية باتقات الأزهار الضخمة

التي تحفل بها المائدة، أو رؤية الزوجين المرحرين اللذين لم يجدُا عليةما أنها
كبرا في السن.

تناولت قهوةها في قاعة الملوس وقد خفت اضطرابها. وجدت، وهي
ترشف قهوتها، أنها تفك في هاريس كوبليان. ومرة أخرى، ومرة نفسها
تساءل إن كان لديه صديقة في هذه المنطقة ليشتري أملاك «أبرماني».
ولكنها بعد التفكير ملياً، استبعدت الأمر. إذا كان راضياً تماماً عن حياة
العزوبة، فمن غير المحتمل أن يتخلص صديقة دائمة.

- هل هذا المقصود مشغول؟

رفعت بصرها فرأته رجلاً وسيماً في حوالي الخامسة والعشرين، فقالت
له باسمة: «لا يأس، خذه».

ثم اكتفت أنه غير متوجّل للذهاب إلى أن ذكره شخص ما يواجهه.
وبيعد دقائق، وفيما كانت مالون تهم بالعودة إلى غرفتها عاد الرجل
نظّف أنّه جاء ليأخذ كرسيّ آخر. لكنه، بدلاً من ذلك، أحضره إلى
جانبها: «هل لديك مانع في أن أجلس عدة دقائق؟ قولي لا، فاذهب».
بدأ لطيفاً، فسألته: «الا يتوّقع أصحابك عودتك؟».

- إنه اليوبيل الذهبي لزواجه جدي. كل الأسرة متغمسة في الذكريات.
لكنني لست كبيرة إلى حد يكفي لمشاركة كل ذلك.
أعجبت مالون بتون وبلسن. كان شاباً مرحًا سهل المعاشر فلم تجد سبباً
يمنعها من أن تصارحة عندما سألتها إن كانت تخفى إجازة في المنطقة،
فاخبرته بأنها هنا للليلة واحدة.

- ما هو العمل الذي تقومين به؟

- حالياً أقوم بعمل مزقت (كمشرفة) في منزل. أراقب عمال البناء وما
شابه ذلك.

- هل أصحاب البيت متغيبون معظم الوقت؟

- جاء صاحب البيت هذا الصباح.

- ومنحك إجازة الأسبوع؟

فكّرت مالون في أن الوقت حان لتهبّق فقالت:

- بعض أفراد أسرتك ينتظرون في الماجاهنا، أظنهن بريدونك.
نظرت توبي إلى الخلف ولوجه بيده، ثم التفت إليها يدعوها: «تعالي معّي.
تعالي والتحقّي بالحفلة».

- لا يمكن.
- سيرجبون بأن تخلّسي معهم.

هزت رأسها وأوشكت أن تقول إنها تود قراءة كتاب جيد، ثم أدركت
أن ذلك يدل على قلة تهذيب.
- لا، ولكن شكرأ.

لم يكن الكتاب بمستوى التعريف به. ولكنها شعرت فجأة بالاضطراب
مرة أخرى. حاولت الاستغراق في قراءته دون نجاح، فوضعته جانبًا ثم
دخلت الحمام لستلقى في الحوض فترة طويلة بينما أخذ عقلها يجول حتى
انتبهت فجأة إلى أنها تفك في هاريس كوبليان.

صحيح أنه كان شهماً معها.. بل أكثر من شهم، وسخياً أيضاً وهو
يلوح عليها بقبول أجراها مقدماً، ولكن عندما تذكرت أنه كان أحياناً بالغ
الخدمة معها، فترت أنه لا يستحق كل هذا الاهتمام منها.

في تلك الليلة غزا نومها المزيد من الكوابيس، وعندما استيقظت، سرّها
أن تغادر سريرها. افتشت وارتتدت ثيابها، فرأت من حالة الجلوس أنه لن
يكون مشرقاً للأمس.

ابتدأ المطر ينهر بينما كانت في صالة الطعام تتناول إفطارها. إذا استمر
المطر، فسيكون عليها غداً أن تخفي معظم الوقت في إفراج الدلاء.

ابسمت لل فكرة، وأدركت بمحنة، أنها رغم رفاهية الفندق، مستعدة
للعودة إلى «هاركورت هاوس» مع أن المنزل ما زال بعيداً عن الاكتفاء، إلا
 أنها تتطلع بشوق للعودة إليه. انتبهت إلى نفسها، عليها إلا تتعلق بالمكان،

لأنها ستغادر» بعد نحو ثلاثة أشهر.

عندما غادرت غرفة الطعام كانت تفكير في تأثير ذلك المنزلي عليها. فالمكان غارق في الفوضى، وإذا قطع الفتيون الكهرباء، فسيقطع السباكون الماء كذلك. ومع أن الطريق لم يكن يتوافق طوال الوقت، ورغم حاجتها إلى الهدوء والسكينة، إلا أن مالون أقرت أنها تشعر بالهدوء والسلام في منزل هاريس كوييليان.

سارت إلى غرفتها وجمعت حاببياتها القليلة ولكنها لم تكن واثقة من سيصل هاريس ليأخذها. تركت حقبيتها في غرفتها ثم نزلت إلى مكتب الاستقبال لتدفع أجراً الليلة.

وعندما طلبت الحساب قالت لها الموظفة: «الحساب مدفوع».

- مدفوع؟ لا بد أن هناك خطأ ما... أنا لم...»

- ترك السيد كوييليان خيراً بأن ترسل إليه الفاتورة، وأنا لا أجرؤ على تسلیمك إياها.

اوشك مالون على الاعتراض، عندما ظهرت توني ويلسن أمامها، فالتفتت الموظفة إليه.

- كنت أرجو أن أراك هذا الصباح. تكلم بصرامة، ثم أضاف: «استعجلت في الصعود إلى غرفتك الليلة الماضية فلم تسع لي فرصة طلب موعد مثلك للخروج ذات ليلة. يمكننا أن نتعش معًا في مكان ما».

- آسف، يا توني.

أوقفته عند حده على الفور، بنفس لطفه ورقته. سببفي وقت طويل قبل أن تفك في الخروج مع رجل مرة أخرى، ولكن لطفه وصرافته جعلاها على أن تقول له بصدق: «أهنيت علاقتي مع صديق من وقت قريب، وما زلت غير مستعدة ل العلاقة الجديدة بعد».

- أنا آسف.

ولكته لم يكن مستعداً للتخلص منها: «ربما إذا أعطيتني رقم هاتفك، يمكننا أن نتحدث هاتفياً فتصادق مع بعضنا قليلاً. يمكنك، بهذا، أن تعرفيني...».

فقطاعتها بحزم مقنع: «لا». لكنه لم يذعن: «هل ستكلونين في هذا الفندق في العطلة القادمة؟». وضحكـت مالون.

وفي هذه اللحظة، شعرت بأنهما لم يكونا وحدـها، فالتفتت لترى عينـين رماديـتين حادـتين تختـرـقـان أعمـاـتها، فـهـنـتـ بـدـهـشـةـ: «هـارـيسـ؟ـ». لم تـرـهـ أو تـسـمـعـ صـوـتـهـ وـهـوـ يـقـتـرـبـ كـمـاـ لمـ تـكـنـ تـوـقـعـ حـضـورـهـ إـلـىـ الفـنـدـقـ بـهـذـهـ السـرـعـةـ.

لاحظـتـ آنـهـ لمـ يـكـنـ مـتـحـمـساـ تـامـاـ لـوـجـودـهـ هـنـاكـ. لمـ يـتـحـركـ توـنـيـ كـمـاـ أنـ هـارـيسـ لمـ يـقـلـ شـيـئـاـ وـهـوـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ. وأدرـكتـ هيـ أنـ الـخـيـارـ خـيـارـهـ، فـقـاتـ: «توـنـيـ، هـذـاـ رـئـيـسيـ فـيـ الـعـلـمـ هـارـيسـ كـويـيلـيـانـ. وـهـذـاـ توـنـيـ وـيـلـسـنـ؟ـ. تـنـعـتـ جـانـبـاـ بيـنـماـ حـيـاـ الـواـحـدـ مـنـهـمـ الـآـخـرـ يـتـهـذـبـ. قالـ هـارـيسـ بـخـشـونـةـ: «إـذـاـ كـنـتـ جـاهـزـةـ؟ـ».

وـمـرـأـهـيـ، شـعـرـتـ بـدـافـعـ إـلـىـ ضـرـبـهـ. لكنـهاـ قـالـتـ بـأـدـبـ: «سـأـصـدـعـ لـأـحـضـرـ حـقـيـقـيـ».

ثـمـ سـارـتـ نـحـوـ الـمـصـدـعـ بـرـفـقـةـ توـنـيـ وـيـلـسـنـ. عـادـ يـسـأـلـهـاـ وـهـاـ بـأـنـتـظـارـ الـمـصـدـعـ: «هـلـ أـنـتـ وـاثـقـةـ بـشـأـنـ رـقـمـ الـهـافـنـ؟ـ».

فـأـجـابـتـ: «نعمـ». والـتـفـتـ إـلـىـ حـيـثـ كـانـ هـارـيسـ يـنـظـرـ إـلـيـهـماـ منـ دونـ أنـ يـتـسـمـ. وـيـعـكـسـ، أـدـرـكـتـ آنـهـاـ لـنـ تـرـىـ توـنـيـ وـيـلـسـنـ مـرـأـهـيـةـ آخـرـىـ بـعـدـ الـآنـ فـمـتـحـهـ أـجـلـ اـبـسـامـةـ، لـكـنـهاـ فـيـ الـمـصـدـعـ لـمـ تـكـنـ تـبـسـمـ. قدـ يـكـونـ هـارـيسـ مـسـعـجـلـاـ فـيـ الـذـهـابـ إـلـىـ لـنـدـنـ، وـلـكـنـ لـمـ يـكـنـ ذـنـبـهاـ أـنـ مـضـطـرـ لـلـحـضـورـ يـأـخـذـهـاـ. كـانـ

لسرها أكثر لو عادت في سيارة أجرة.

وقد قالت له رأيها، فالذنب إذن ذنبه هو.

بعد أن استقرت على هذا الرأي، أحضرت حقيبتها والكيس البلاستيك الذي يحوي مشترياتها ومن ثم هبطت بالصعد. تضايقـت حين لم تره واقتـلت بانتظارها بفروغ صبر، بل كان يتحدث مع موظفة الاستقبال التي بدت مشدوهة به.

قاطعـتها مالون بشاشة: «أنا جاهزة عندما ترید».

استدار إليها ونظر إلى كيس مشترياتها. ومع أنه حجا الموظفة مودعاً وهو يأخذ الحقيبة من مالون، فقد بدا عليه أنه ودع أيضاً ظرفه. قررت عدم الاهتمام، وخرجـت من الفندق.

توافتـت أن يمضـيا رحلـتها بصـمت إلى البيت، وإذا به يـسألـها بـلهـجـة غير ودـودـة: «من هو ذلكـ الرجل؟».

«ـ من؟ـ

ـ كانت تعلمـ جـيدـاًـ منـ المـقصـودـ وـلـكـنـ،ـ بماـ أنهـ مـسـتعـجلـ لـيـمـرـدـ إـلـىـ لـندـنـ،ـ فـلـمـ تـكـنـ مـسـتعـجلـةـ لـسـاعـدـتـهـ أـيـضاـ.

ـ وـ يـلـسـنـ اـ

ـ إـنـهـ نـزـيلـ فـيـ فـنـدـقـ.

ـ هلـ تـعـرـفـ عـلـيـهـ أـمـنـ؟ـ

ـ وـ قـرـرـتـ الـأـنـجـيبـ.ـ لـمـ كـلـ هـذـهـ الـأـسـلـةـ؟ـ وـلـكـنـهاـ بـعـدـ التـفـكـيرـ مـلـيـأـ رـأـيـهـ

ـ أـنـ لـدـيـهـ غـرـضـاـ مـنـ ذـلـكـ:ـ «ـهـذـاـ صـحـيـحـ».

ـ هلـ تـعـلـيـتـ مـعـهـ؟ـ

ـ لـاـ.

ـ لـكـنـكـمـ تـوـاعـدـعـاـ عـلـىـ اللـقاءـ مـرـةـ أـخـرىـ.

ـ فـقـالـتـ بـحـدـهـ:ـ «ـلـاـ،ـ هـذـاـ لـمـ يـعـصـلـ!ـ».

ـ أـينـ يـعـيـشـ؟ـ

ـ فيـ الجـوارـ.

ـ هلـ أـخـبـرـتـهـ أـينـ يـعـيـشـ؟ـ

ـ وـهـلـ مـنـ الـحـتـمـلـ أـنـ أـفـعـلـ؟ـ

ـ رـوـتـ عـلـيـهـ بـحـدـهـ وـحـرـارـةـ.ـ لـقـدـ نـالـتـ مـاـ يـكـفـيـ مـنـ الـأـسـلـةـ.ـ وـلـكـنـ،ـ

ـ رـيـمـاـ لـاـ يـرـيدـ هـارـيـسـ أـنـ يـعـطـيـ عـنـوانـهـ لـأـحـدـ عـلـىـ الـإـطـلـاقـ.ـ وـرـيـمـاـ هـوـ يـحـبـ

ـ عـزـلـهـ كـمـ تـجـبـهـ كـذـلـكـ.

ـ ظـلـتـ أـنـ جـوـابـهاـ كـافـ،ـ وـأـنـ هـارـيـسـ اـنـتـهـيـ مـنـ الـمـوـضـوعـ.ـ لـكـنـهاـ بـيـتـ

ـ أـنـهـ غـطـةـ عـنـدـمـ صـاحـبـ مـزـجـرـاـ:ـ «ـوـهـلـ أـعـطـيـهـ رـقـمـ هـانـفـكـ؟ـ».

ـ شـعـرـتـ بـسـرـورـ بـالـغـ وـهـيـ تـجـبـهـ بـغـطـرـةـ:ـ «ـوـرـيـمـاـ غـابـ عـنـ ذـهـنـكـ أـنـاـ لـاـ

ـ نـمـلـكـ وـاحـدـاـ».

ـ ظـلـتـ أـنـ لـهـجـتـهاـ الـتـنـفـطـرـةـ ضـايـقـتـهـ،ـ وـلـكـنـهاـ اـكـتـشـفـتـ الـآنـ خـطـأـهـ.ـ فـيـ

ـ الـوـاقـعـ،ـ فـقـدـ صـوتـهـ خـشـوـنـتـهـ وـهـوـ يـسـأـلـهـ:ـ «ـأـلـيـسـ لـدـيـكـ هـاتـفـ خـلـوـيـ؟ـ».

ـ فـأـجـابـتـ وـهـيـ تـمـتـيـنـ لـوـ تـنـتـهـيـ الـرـحـلـةـ وـيـعـودـ إـلـىـ لـندـنـ:ـ «ـلـاـ».

ـ مـضـتـ دـقـيقـتـانـ كـانـ يـنـظـرـ قـيـمـاـ إـلـىـ كـيـسـ الـمـشـرـبـاتـ:ـ «ـأـرـىـ أـنـكـ كـنـتـ

ـ تـسـوقـيـنـ.ـ لـمـ اـنـكـرـ فـيـ ذـلـكـ قـطـ،ـ عـلـىـ أـنـ أـعـطـيـكـ نـقـداـ لـنـفـقـاتـ الـبـيـتـ».

ـ يـالـهـذـاـ الرـجـلـ!ـ سـأـلـهـ مـشـاكـسـةـ:ـ «ـهـلـ تـعـمـدـ اـسـفـازـيـ؟ـ».

ـ فـالـفـتـتـ إـلـيـهـ يـحـيـرـةـ صـادـقـةـ:ـ «ـوـمـاـذاـ فـعـلـتـ؟ـ».

ـ يـكـفـيـ أـنـكـ دـفـعـتـ فـاتـورـةـ الـفـنـدـقـ الـيـوـمـ،ـ إـلـىـ جـانـبـ كـلـ تـلـكـ النـفـودـ

ـ الـتـيـ أـعـطـيـتـنـيـ إـيـاهـاـ الـأـسـبـوعـ الـماـضـيـ.

ـ فـقـالـ بـلـطفـ:ـ «ـيـاـ مـالـونـ الـمـكـبـرـةـ!ـ هـلـ مـسـاعـيـتـنـيـ لـأـنـيـ جـرـحـتـ

ـ إـحـاسـكـ؟ـ».

ـ هـدـ غـضـبـهاـ فـيـ لـحـةـ.ـ وـشـعـرـتـ بـرـغـةـ فـيـ الضـحـكـ،ـ فـحـولـتـ وـجهـهاـ إـلـىـ

ـ النـافـذـةـ كـيـلاـ يـرـىـ اـبـسـامـهاـ.ـ كـانـ الضـحـكـ تـخـنـقـ فـيـ صـدـرـهاـ.ـ وـأـخـيرـاـ

ـ الـفـتـتـ إـلـيـهـ تـسـأـلـهـ:ـ «ـلـمـاـذاـ أـشـعـرـ بـرـغـةـ فـيـ الضـحـكـ؟ـ».

ـ عـادـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ،ـ وـبـعـدـ لـحـةـ قـالـ:ـ «ـلـأـنـكـ،ـ فـيـ الـأـسـاسـ لـدـيـكـ طـبـيـعـةـ

رياه، كانت مسروقة حقاً لبقائه! أوقفت أي تسؤال عما يجري لها لتشعر بكل هذا السرور، وهي ترى الدلاء التي وضعتها أمس تداركاً لأي ترب، وقد بدت طافحة بال المياه. وضعت حقيقتها على الأرض وفتحت غرفة قرية منها مزودة بحمام، ثم حلت بحدار الدلو. كان عليها أن تحمله يبالغ الحذر، وبعد أن أفرغت عندياته في الحمام، وضعت غيره قبل أن يتساب الماء الشرب على الأرض. حلت الدلو التالي، وهو مثله، وهو بطيء بالغ. لكن حين استدارت بسرعة لتضع بدليلاً له، اصطدمت بهاريس الذي كان يصعد السلالم. ولو سمعت، كان دلوه ممتلئاً، فلم يستطع أن يتحكم في عندياته وانسكب على أرض الحمام، بينما اندفع التصف الآخر على مالون والأرض. كان الماء بارداً، فتراجع مالون وهي تنزع. شهقت للصدمة المفاجئة وابتدات تضحك. ولكن ما إن تقوس فمه حتى وقع بصرها على هاريس، فنلاشت رغبتها بالضحك. لم يكن ينظر إلى وجهها بل إلى الماء السائل على ثيبيها.

لاحقت نظراته فكادت تشقق من جديد فتمبصها القطعني أصبح الآن ملتصقاً بجسدها. كان هاريس كوبيليان واقفاً من دون حرaka يحدق فيهم، كالسحور!

سقط الدلو من يدها، وعندما وصل إلى الأرض وتعالت قرقعه ارتفعت عيناه إلى ملاععها للرجفة: «مالون، أنا...». لكنها لم تبق لسمعه، فقد اندفعت هاربة لا تدري إلى أين، حتى وجدت نفسها في حى غرفتها.

تبعها هاريس إلى هناك، فصاحت به وقد تواردت الصور إلى خيالها. لقد صرخت بهذا الشكل في وجه لي جنكائز منذ سنوات طويلة. أسرع هاريس إليها وأمسك ذراعها بقوة قائلأً فيما هي تحاول أن تحرر

مشرقة. لكن الحباء مؤخراً، لم تسعده، وقد بدأت طبيعتك المشرقة تظاهر من جديد».

- لم أطلب منك تخليل نفستي. أعلنت هذا بشيء من التوتر وقد فارقتها الرغبة في الضحك. لكن ضحك، واستنامت لذلك. قال: «هل هذا ما فعلته أنا؟». لم تعبأ بأن تجيب، لكنه لم يتزعج لذلك بل تابع: «عليّ أن أمدحك لما فعلته».

آثار كلامه فضولها: «وماذا فعلت؟». لأنك جعلت متزلي «هاركورت هاوس» بيتاً حقيقياً. حلقت فيه... شعرت بالغرور لأنك لاحظ أنها غيرت الملاءات وعلقت مناشف نظيفة.

- هل كنت في غرفة الاستقبال؟ - أضفت الأزهار جالاً. وفجأة، بدا أن العداء بينهما قد تلاشى، لم تستطع أن تفهم المودة التي شعرت بها وهي ترى «هاركورت هاوس» مرة أخرى. حتى مع المطر، بدا المنزل وكأنه يرحب بها. وقالت لهاريس وهو ينقل كيس مشترياتها إلى المطبخ: «هل لديك وقت لتناول فنجان قهوة؟».

وضع ما يحمله على مائدة المطبخ ونظر إليها: «وهل أنا ذاهب إلى أي مكان؟».

- ولكنك... وسكتت. لم يقل لها يوم الأحد الماضي إنه سيأتي إلى الفندق ليأخذها إلى البيت قبل أن يعود إلى لندن؟ على كل حال، خمرها ببهجة غير متوقعة لأنك ستأخر معها عدة ساعات قبل أن يعود إلى لندن. قالت وهي تتجه إلى الباب: «سأخذ حقيبتي إلى غرفتي».

نفسها منه: «إهدتي. لن أؤذيك. أنت آمنة معي، آمنة. دعك عقلك الخائف
يفهم أنك آمنة».

حدقت مالون فيه. كانت عيناه تحدقان في عينيها بحزم، مركزاً انتباهاه
على إيقاعها بأنها آمنة، وأنه لن يؤذيها. توقفت عن المقاومة، لكنها بقيت
ترافقه بحذر.

وعندما رأها مصفية إليه، تابع يقول: «أصغي إلى. أي شخص مكانك
كان لينظر إليك ليرى إن أسبابك مکروه. إنك عديمة الثقة، ويمكنني أن
أفهم السبب. ولكن حاول أن تتفق بي لأنني ذو...». ففاجأته وقد أسمتها المحاضرة: «ذو عينين لا تستطيعان الامتناع عن
الحملة».

تكلمت باللهجة عدائية، فاكتشفت أن كلماتها أقوى من مقاومتها
لتحرير ذراعها من قبضته. لمعت عيناه بخشونة، فترك ذراعها فجأة: «من المستحيل أن يتغاضم
الإنسان معك!».

لم استدار متذمماً إلى خارج الفرقة، وبعد فترة سمعت هدير سيارته.
لا شك في أنه غير رأيه بشأن العودة إلى لندن. حسناً، إنها مسروقة،
مسروقة، وإذا حالفها الحظ، فسيangi العودة إلى هنا تماماً.

٤ - ماذا يحدث لها؟

توقف المطر أثناء الليل بمعجزة، واستيقظت مالون على صباح مشمس
رائع.

ثنت لو أنها استيقظت بالإشراقة نفسها. قال لها هاريس إن طبيعتها،
في الأساس، مشرقة. وقد عكرت كوابيس الليل مزاجها.

ترك سريرها وقد تلذتها الكآبة. لم تكن أحلامها هي الغمامات
الوحيدة في يومها، فسبب موقفها منه أمس، اختصر هاريس زيارته. لقد
جاء إلى هنا ليرفه عن نفسه، فأفسدت الأمور عليه.

استمررت مالون أحداث أمس، شاعرة بالحزن من نفسها، تلك
الأحداث التي دفعت هاريس إلى الذهاب مبكراً. (أنت آمنة معي. دعك
عقلك الخائف يفهم هذا) هذا ما قاله لها، ولكن لم يكن لديها منطق يقبل
المحاضرات... ربما رحل لحظة أنها لن تهدأ إلا إذا خرج.

أشئت مالون يوم الاثنين في إعداد الشاي للبنائين ولم يفارقها الشعور
بالحزن للطريقة التي عاملت بها هاريس. كانت تعلم أن حالها لن تتحسن
إلا بعد أن تعتذر له.

من الغريب أنها نامت تلك الليلة لأول مرة من دون أحلام، وهي التي
يُثقل ضميرها حل مزعج. استيقظت صباح الثلاثاء على يوم مشمس آخر،
فسارت إلى إحدى نوافذها لتنظر إلى سكون المكان وصفائه... قبل حضور
البنائين... وإذا بها تدرك أن المنزل مبني في أروع بقعة.

- إنها لدين زميل تشارلي السادس.

وعندما أدركت أن هاريس لم يكن يسأل عن إيضاح وجدت نفسها تتابع
ثرثرها: «استمررتها لأذهب إلى البريد وأرسل طلب عمل».
وقف هاريس فحدث حدوه: «ألاست سعيدة هنا؟».

حدقت مالون إليه، ثم ألت نظرة ذات معنى على أدوات العمال
المتكرومة في أنحاء الردهة، ولم تكن بحاجة إلى قول المزيد.. فضحك
الإثنان.

أحدث ضحکهما في داخلها شيئاً غريباً. قالت: «كنت على وشك
تحضير القهوة. أتريد فنجاناً؟».

- كنت أظن أن على تحضير قهوة بيدي.
وابتسم لها، فأسرعت إلى المطبخ.

- أليس لديك عمل اليوم؟

ألقت عليه هذا السؤال وهو يرتشفان القهوة في المطبخ، ثم غلکها
شعور مفاجئ بالتوتر: «آسف، إنه سؤال غبي وأنا أراك ترتدي بدلة
العمل».

- هل أنت متورّة للأعصاب بسيبي؟

سالها بفطنة. في الماضي كان الأمر يسب لها إزعاجاً، ولكن الغريب
أنه لم يسب لها الآن ذلك.

- لست متورّة.

وللإثبات ذلك، منحته ابتسامة: «ما أشعر به هو الارتباك والذنب لأنني
مدينة لك باعتذار ولا أعرف أحسن طريقة لذلك».

تسرّرت عيناه على عينيها الجميلتين، وقال بهدوء: «أنا معجب
بصدقك يا مالون، ولكن لا تشعري بالارتباك. هل الاعتذار الذي تدينين لي
به شخصي؟».

- أنت تعلم أنه كذلك. لقد جئت إلى هنا في عطلة الأسبوع الماضية لكي

مع خسن الطقس، انتعشت نفسية مالون إلى حد أنها، عندما رأت أحد
العمال يلقي الجريدة جانبها، استعارتها منه. الوظيفة الوحيدة مع السكن
التي أعجبتها هي في مكتب استقبال في فندق. ولكن، هل تري ذلك حقاً؟
كان عليها أن تجد عملاً وسكنأً بعد أقل من ثلاثة أشهر، لأنها لا تري أن
تلجأ إلى أمها، مما دفعها إلى التقدّم بطلب لذلك العمل، لكنها لم تقر تماماً
وضع الطلب في البريد إلا يوم الخميس.

لم تكن واثقة من موقع أقرب صندوق بريد، فلهبت لبحث عن
كيفين. فقال لها دين: «لن يعود كيفين قبل ساعتين، ولكن إذا كان الأمر
مستعجلأً، يمكنك أن تستعيرني دراجتي».

كانت مالون تعلم أن دين هو للدراجات، فسأله: «هل أنت والق؟».
رد بابتسامة مخجول: «إنها ليست أفضل دراجة عندي».

وبعد ذلك بخمس دقائق، كانت تمضي وقتاً ممتعاً في قطع الطريق. لم تز
صندوق بريد إلا بعد أن أصبحت قريبة من حانوت شيروبين. لكنها، بعد أن
وضعت رسالتها في الصندوق، شغلت نفسها في طريق العودة، يتضمن
الطرق الفرعية المختلفة، لى أن لاح لها منزل «هاركورت هاوس». فخلکها
شعور بأنها ستدرك مقادرة المنطقة.

بما أنها انطلقت عازمة على الأطلاق بتردد بل بآية، فإذا بها تعود بأية
سرعة معاً، وهي ترى هاريس وسيارته الفخمة.

مررت بجانبه متتابعة طريقها لتعيد الدراجة إلى صاحبها وهي تقول
باسمها: «شكراً يا دين».

- يمكنك أن تستعيرها في أي وقت.
شكرتة مرة أخرى. لكنها اعتبرت بوجود كل أنواع الشاعر في داخلها،
وادركت أن لا علاقة لذلك برکوبها الدراجة بعد انقطاع سنوات.
كانت تقرب من المدخل الخلفي للبيت عندما جاء هاريس وسار
بجانبها سائلاً: «من الدراجة؟».

ترتاح، لكن سلوكي المتفعل جعلك تعود إلى لندن مبكراً.
فسألها جاداً: «هل تشعرين بالذنب لهذا؟».
فأومات: «وبالحربي أيضاً».
فقال برقة: «مالون. لقد مررت بأوقات عصبية. من الطبيعي جداً أن يتضليل الشخص أحياناً».

ترك كرسه واقترب منها ياسماً وهو يربت على أنها: «وما كان ينبغي لي أن أستاء من عدم قدرتك على الثقة بي. لم تصدقيني عندما قلت لك إنك آمنة معندي».

- آه، يا هاريس... أنا...

ابتدأت تتكلم بعجز، وقد أدرك أله أكثر حساسية بكثير مما كانت تظن. لكنه ابتعد عنها عدة خطوات، نافلاً فنجان قهوته إلى المجل.
- لا ينتهي للأمر.

ثم انتقل إلى موضوع جديد: «فكرت هذا الصباح في المجيء» للقاء نظرة على العمل وتفحص بعض الأشياء مع بوب ميلر. بعد ذلك يمكّني أن أخذك لتناول الغداء في المدينة إذا شئت».
أعجبها الأمر وسرّها أنه سأله، فأجابت: «هل يمكنني أن أطهّي لك شيئاً هنا؟».

فقال من دون تردد: «شكراً، هذا حسن».

ايقامت بينما ذهب هو لتفحص سير العمل.

يبدو أنه سيعود إلى لندن حالما ينتهي من تناول الطعام، لذا فهو لا يريد أن يزعج بتناول الغداء.

عاد هاريس بعد نصف ساعة، فسألته: «هل تريدين تأكل؟».

وعندما جلسا، أعلن: «ما أكل الطعام مع ألك لم تلعني أنتي ماتقددي هنا. ولكن الطعام ممتاز».

- إنه مجرد طعام سريع.

اعترفت لنفسها بأنها تشعر بالسعادة. ومع انتهاء الغداء، قال هاريس إنه جاء اليوم لأنه لن يأتي في العطلة الأسبوعية. تلكها شعور غريب يمكن وصفه بأنه خيبة أمل، لكنها وجدت هذا الوصف سخيفاً، لا سيما وأن عليها أن تذهب إلى الفندق فلا تراه أبداً حتى ولو جاء لقضاء العطلة في البيت. ولماذا تrepid رؤيه؟ أليس جنونا؟

صرفت من ذهنها هذه الأنكار، وأخذت تذكر ما تبادلاته من أحاديث. هذا منزله، وجاءت زيارته اليوم ليتفقد، فسألته: «ما الذي جعلك تختار هذه المنطقة بالذات؟ لأن اختك...».

وسمكت، لكن هاريس أجباه: «لم تكن فاي تسكن في هذه المنطقة حينذاك. لقد رأت «المورا لودج» في أول زيارة لها إلى هنا. وعندما اكتشفت أن أصحابه كانوا يؤجرونه أثناء غيابهم خارج البلاد منذ سنة، أقنعت زوجها بشرائه».

وسمكت هاريس، ثم عاد يسألها بهدوء: «أرجو أن لا تكوني قد رأيته؟».

- لا، والحمد لله.

أجبته بسرعة واكتتاب، وتكلمت بأن ملاعقها كشفت عن ندمها لإثارة الموضوع. لم تشا أن تذكر صهره. لكن هاريس لم يكن مستعداً للتخلص عن الموضوع، فسألها: «ماذا عن كوابيسك؟».

إنه يربط بين كوابيسها الليلية واعتداء رولاند فيليبس عليها، فصممت على أن تبدو مبهجة: «اللقد ذهبت».

- تماماً؟

- لم تعاودني منذ..

أرادت أن تقول منذ الأحد الماضي، ولكن شعورها المفاجئ بالحساسية نحو هاريس، منها من أن تذكره بذلك الخصم الذي حدث بينهما الأحد الماضي، لذا قالت: «ثلاث ليالٍ».

حاولت أن تتجاهله، لكنها وجدت أن الشرير أدرك أن لا بيت في هذه الأنهاء سوى بيت شقيق زوجته.

- لا تخبريني أنك تقفين في هاريس كورت هاوس.^{٤١}
مستحيل أن تخبره بشيء ما، لكن المخوف عملها. لم تكن تريد أن يعرف هذا الرجل أين تسكن أو أنها ستكون هذه العطلة الأسبوعية وحدها في البيت.

- هل تقفين مع هاريس كوييليان؟

وتفت لتجيئ غاضبة: «أنا مدبرة بيته!».

- هذا اسم جديد لذلك!

وادركت مالون أنه يفكر بالسوء، وقفت لو أن هاريس أمعن في ضربه،
وعاد فليبيس يسأل: «هل هو هنا هذه العطلة الأسبوعية؟».

فتملكها المخوف: «سابلله تخانك حين أعود. أليس كذلك؟».
استطاعت أن تتمالك نفسها وهي تأسف، ملقة نظرة ذات معنى على ذئنه عليه يتذكر لكلمة هاريس له. واستنتجت من النظرة الحاذقة التي رمقها بها أنه لم ينس ذلك، ثم وضع قدمه على دوامة البزبين وانطلق بالسيارة. كانت مستمتعة بتهاها، ولكن تلك المتعة تلاشت، فاستدارت عائدة إلى البيت.

قادر العمال المنزلي بعد الظهر مباشرة، فبقيت وحدها. وقفت لو أنها طلبت منهم أن يأخذوها إلى المدينة. فاياً منهم كان ليأخذها معه. وكان سهلاً عليها أن تجد مكاناً تقيم فيه.

ولكن، رغم أن الطقس الآن مثمس، إلا أنه تغير مؤخراً إلى حد كبير.
لقد أخبرت رولاند فليبيس أنها وكيلة هاريس في هذا البيت، ما يعني أن عليها البقاء هنا، على الأقل ترثياً لترث جديداً من السطح.
ذهبت إلى سريرها تلك الليلة، شاعرة بقلق بالغ، ودعت الله أن يكون خدمتها السابق قد صدقها عندما قالت له إن هاريس موجود في بيته.

لاحظت أنه أخذ يعب في ذهنه على الفور، ولكن كل ما قاله هو:
«حافظي على هذا المستوى الجيد».

سألها: «أتريددين عوناً في غسل الأطباق؟».
أوشكت على الضحك، شاعرة بالفرح، وأجابه بشاشة أن لا داعي لذلك، للخارج.
افتقدته بعد ذهابه، فتساءلت عن السبب وهي لا تكاد تعرفه؟ ما الذي تفكّر فيه؟

اكتشفت صباح السبت، أن ما كانت تفكّر فيه هو هاريس. فهو دوماً في بالها. حسناً، ولم لا؟ فلو لا الله وحده يعلم ما كان ليحدث لها.

كان العمال يستغلون ذلك الصباح، وقد علا الضجيج أكثر من العادة، أو هكذا خيل لها. ففكّرت في الخروج للتنفس، أخذت معها حقبة يدها، وببحث عن كشك الهاتف لتتصل بأمها. وفي الطريق الريفي، أخذت تسير وهي تسأله مما يفعله هاريس في هذه العطلة الأسبوعية. أتري خيابه هذه العطلة يدل على أنه على موعد مع امرأة؟ وشعرت مالون بالضيق، وإذا بها تتبّعه إلى هدير سيارة قادمة من خلفها.

لم يكن هناك رصيف، فتحولت إلى جانب الطريق، وبدلًا من أن تفرّ السيارة بها، كما هو متوقع، إذا بها تباطأ. عندما أوشكت على الالتفاف لنرى إن كان هذا الغريب يريد أن يسأل عن وجهة ما، سمعت صوتاً جد الدم في عروقها.

- هل يمكنني أن أوصلك؟
إنه صوت رولاند فليبيس، هي واثقة من ذلك. أرادت أن تهرب، فلم تجده، عندئذ وقفت السيارة أمامها... ثم عرفتها.

- حسناً، حسناً... مالون بريتوبيت!
استمرت في سيرها، فقد سارته بمحاجتها: «والآن ما الذي تفعليه في هذه المنطقة؟».

لأخذ شيئاً نسيء؟ أم... أن هاريس جاء اليوم بدلاً من الغد؟
خوفاً من أن يظهر الانفعال في عينيها وجهها، أدارت ظهرها للتواءذ.
من عادة هاريس أن يمر قرب النوافذ بسيارته، لكن لعل بعض معدات البناء
تسد الطريق. إذا كان القادم هاريس ويقطع المسافة مثلاً سينظر إلى
الداخل.

عندما سمعت شخصاً يدخل إلى الردهة، تمالكت مشاهيرها. إذا كان
أحد العمال، يمكنه أن يأخذ ما عاد لأجله ثم يذهب. أما إذا ترك شيئاً في
الداخل، فهي واثقة من أنه سيصادبها.

افتتح باب المطبخ، وعندما التفت، شجب وجهها: «أرى أن العمل
قد انتهى في هذا المكان».

قال رولاند فيليبس هذا وهو يدخل المطبخ.

شعرت مالون بالغثيان وسألته بفظاظة: «ماذا تريدين؟».
ـ لا تكوني فظة، يا مالون. جئت أستدي إليك خدمة.
ـ لا أريد خدماتك!
ـ بل تريدينها. لقد اتصلت أمك.
ـ أمي...»

رد باستهجان: «لم تخبرها أنك تركتني في أحرج الأوقات؟».
ـ فكرت في أنه من الأفضل لا أخبرها لماذا تركتك.

ردت عليه بحدة، لباعدها الله، فهي هنا وحدها تماماً، بينما تعلق
عيناً فيليبس بتلك الشهوانية. وتتابعت تفوه: «وإلا لأصررت على بالذهب
إلى الشرطة».

أوضحت له مالون ظناً منها أنها تختدر.

فقال وهي تحيطه بخوابان على جسمها: «لا تكوني شريرة، يا عزيزتي.
تعلمين أنك ترغبين في».

قالت وهي تزاجع عندما اقترب منها: «أنت لا تعرفني!».

تأكدت مرتين من أن باب غرفتها متغلب من الداخل، ووضعت كرسياً
وراء الباب وهي المرة الأولى منذ رحل جنكتز وابنه. قبل أن تصعد إلى
سريرها، وبالرغم من أنها والثانية من أن رولاند فيليبس، سواء أكان تملاً أم
صاحبها، لن يصعد على ماسورة الباب، إلا أنها تأكدت من أن نوافذها مقفلة.
عادتها كوايسها تلك الليلة، فلم تستطع أن تترك غرفتها لتتجه إلى
المطبخ كما اعتادت.

تلكها سرور لم تعرفه من قبل عندما حل يوم الاثنين وعاد العمال.
ذهبت مع كيفين إلى المدينة حيث تسوقت وحاولت عدة مرات الاتصال
بأمها، لكن هذه الأخيرة كانت على الأرجح في الخارج.
مع تتابع أيام الأسبوع، بدأت مالون تعود إلى حالها الذي كانت عليه
قبل أن تذهب في نزهتها السبت الماضي. ومع ذلك، لم تستطع أن تودع تلك
الكوايس التي تراودها.

يوم الجمعة وصلتها رسالة تفيد أن وظيفة الاستقبال التي تقدمت
بطلبها، قد شُغلت. اعترفت مالون ل نفسها أنها لم تشعر بالامتنان لذلك.
وعادت إليها طبيعتها المشرقة رغم أن الجو تحول إلى الكابة.
ـ لدينا بعض المشاكل.

أوضح لها تشارلي الأمر بالتفصيل بينما راحت تحاول أن تفهم حديثه
عن السباكة متوقفة قدوم هاريس صباح السبت. لذا، توسلت إلى كيفين أن
يأخذها معه عندما أخبرها أنه ذهب إلى «شيروبين». عادت من السوق
بخضار طازجة وقطع دجاج، مصممة على أن تطعمي مقداراً وافراً. ستتناول
بعضاً منه في عشائرك هذا المساء، وإذا لم يشا هاريس المخروج أو إذا كان
يبحث عن طعام، فستتناوله. أما إذا لم يفعل، فيمكنها أن تخفظ بال الطعام إلى
 حين عودتها يوم الأحد.

ذهب العمال في الساعة الخامسة والنصف. وفي السادسة كان الطعام في
الفرن يتضاعج، عندما سمعت هدير سيارة توقف. أثره أحد العمال جاء

- ذنب من هذا؟
قال هذا متذمراً، وعندما اقترب خطوة أخرى منها، واثنت رائحة الكحول في أنفاسه، لم تعرف إلى أين تذهب.

- لم لا يمكننا أن...؟

ابتدأ يتكلم، ولكن كلامه تلاشى حين فتح الباب.

- ما الذي أتي بك إلى هنا؟

القى عليه هاريس كوبيليان هذا السؤال ووجهه عاصف كالرعد. فقفز رولاند فيليبس متذمراً إليه: «أنا... أنا...».

ابتدأ يرفع صوته لكنه غير رأيه وابتعد عن مالون، وهو يقول بلهجة لبنة بعض الشيء: «لو أن لديك هانقاً هنا لما أزعجت نفسى بالمجيء على الإطلاق. جئت لأأخير مالون أن أمها اتصلت بيها».

لكن هاريس لم يتم لقوله: «لا أريدك في الجوار».

قال بحزم وهو يمسك بباب المطبخ مفتاحاً: «أخرج وإذا وطئت قدمك واحدة في هذا المكان مرة أخرى.. فلن أدعك بسلام».
تكلم مكثراً بلهجة تحمل الوعيد، وبيدو أن رولاند فيليبس يعلم أن هاريس لا يلقي بهتهديداته جزافاً. للذا لم يبق ليقول التوداع بل أسرع الخطأ مبتداً.

في هذه الأثناء، كانت مالون على وشك البكاء لقدوم هاريس اليوم بدلاً من ذلك، ورغم أنها كانت ترتجف إلا أنها ابتدأت تمالك نفسها وهي تنهى: «لم أكن أتوقع قدومك قبل الغد».

عادت ترتجف من جديد وهي ترى أن هاريس نفر وجود صهره، بطريقة الخاصة وهو يقول: «هذا واضح».

فرددت كلامه بذهول: «واضح؟ لا يمكن أن نظر لحظة...».

ففاجأها: «كيف علم فيليبس أنك هنا؟».

وشعرت مالون برغبة في البكاء. كيف يظن بها ذلك؟ كيف؟ شعرت

بنفسه مفاجئاً. لكنها استطاعت التحكم به وهي تسير نحو الباب، وقد منعتها كرامتها من أن تتنازل وتخبره عن سؤاله، بل قالت آمرة: «أطفئ» الفرن في السابعة. أنا صاعدة لأحرز أمتعتي».

إنه وحش عتيдаً وخرجت تهادى من المطبخ، شاغلة الرأس، ثم اندفعت كالعاشرة نحو السلم. كانت من الغضب بحيث كادت تنس أن تعيق عن لوح خشبي على أرض السلم نبهها سيريل إليه هذا الصباح. وفي غرفتها كان غضبها قد ازداد إلى حد صفت معه الباب بعض فاهتزت التواقد.

لم تندم ولم عهتم بذلك. كان المكان كارثة بأرضه الخبيثة التفككة وبساكته العشوائية، والطلاء المتهاكل في الغرف. لم تذكر مالون، وهي تخرج حقائبها، بجمال هندسته والروعة التي سيبدو عليه حين ينتهي إصلاحه.

كيف يجرؤ هاريس كوبيليان على الظن أنها اتصلت برولاند فيليبس لكي يحضر حالما يخرج العمال، لأن هاريس كوبيليان لن يأتي قبل الصباح؟
كانت بحروقة غاضبة، كما لم تحس من قبل، وأحست برغبة قوية في البكاء. كانت قد أخرجت من خزاناتها ثوبين فقط عندما افتحت الباب ودخل منه. كانت تعرف أن الكرسي يسد طريقه.. وكان الكرسي ثقلاً بحيث كانت تدور حوله لتتوفر على نفسها عناء جره كل ليلة لوضعه وراء الباب، لذا كاد هاريس يقع فوقه.

قالت له بلهجة لاذعة: «أنا أضع هذا الكرسي وراء الباب تحت مقبهه لمنع المتسللين من الدخول!».

وسارت إلى إحدى الحقيبة المفتوحتين على السرير لتنضم الثريتين فيها. أخذ هاريس ينظر إليها لحظة، ثم قال: «أنا لست ماهرًا في الاعتذار».

- إذن تعلم أنك غلطى؟

- هل تضعين حقاً ذلك الكرسي تحت مقبض الباب أثناء الليل؟
هزت كتفيها لا تزيد أن تخبره بشيء.. لكن الكلمات خرجت من فمها

عدت يوم الأحد فلم تجدي شيئاً من ذلك الطعام ذي الرائحة الشهية في الفرن».

أرادت أن تبادله الابتسام، لكنها لم تفعل. رغم إقرارها بأنه، بدلاً من أن يشير إلى رحيلها دون عودة، كان يسهل نكرة المودة يوم الأحد.. هذا إذا كانت راغبة في الرحيل الآن.

- هل تقول إنك لن تأخذني إلى.. إلى الفندق؟

النت هذا السؤال الذي يعني، كما أدركت، أنها لا تنوى الرحيل بهايا.

- أنت تعلمين أنني لم أقل ذلك. ما قلته إنك، رغم استحالة الوضع هنا، استطعت أن تجعل المكان مريحاً في كل مرة أحضر فيها. واضطرارك للمغادرة بسبب عيتي هو مكاناً هزيلة لأنتعابك. رأت أنه يتولى إنها تستطيع البقاء حتماً، لكن ذهابها هو خيار شخصي. كانت تدرك أن بقاءها، يؤكد له ثقتها به.

- ألم تعد تظن أنني تعمدت دعوة صهرك إلى هنا؟
ذالجاب بسرعة: «ما ظننت ذلك قط».

- أووه..

- ولهذا جئت. أردت عذرًا لكي أضربه.. وعندما ابتعد بسرعة من دون عراك.. كنت.. كنت بحاجة ماسة إلى ما يخفف من غضبي.

- وصادف أنني كنت الأقرب إليك.
لم يجعلني ذلك شخصاً جيداً.

أرادت أن تعرّض على ذلك فهي تتذكر كم كان طيباً معها. أرادت أن تقول له، لكنها شعرت فجأة بالخجل. ابسمت وقالت: «تلك الهيئة التي كونتها عنك انقسمت قليلاً، ولكن ما من شخص كامل». بادلها هاريس ابتسامتها، وليكتب موردها مرة أخرى، قال لمريح قلبها: «أتريدين أن تستبدلي حقيقة صغيرة بهاتين الحقيقتين؟».

على أي حال: «ذهبت أثني يوم السبت الماضي. وكان صهرك ماريا بسيارته، فأدرك أين أتيت. ومنذ ذلك الحين وأنا أضع هذا الكرسي تحت مقبس الباب».

اعلن بناثر بالغ: «مالون، يا لي من حقير».
ـ هذا (واضح)!

وافته على ذلك، ثم تساءلت عما إذا كانت قد فقدت عقلها وهي تقذفه بكلمه.

قال بملطف: «أنا آسف».

- تعتذر؟ لم ي Özدك ذلك، صحيح؟

- هل تسامحتي إذا أصررت الخلوى لتصدّقني مع أمك؟
فترددت، ثم قالت: «ربما...».

- لا تعلم أمك أنك تركت منزل فيليس؟

- اتصلت بها.. من فندق كليفتون، لم استطع أن أخبرها بذلك ل بلا يمتلكها القلق.

تبعد غضب مالون الآن فيما أخذت تطوي التوب.

فقال فجأة: «أنت لست مضطرة للرحيل!».

كانت مالون تعلم، بعد أن تلاشت غضبها، أنها لا تريد أن ترحل، وتتابع يقول: «في الواقع، لست مضطرة للذهاب إلى أي مكان هذه العطلة».

- هل أنت باقي هنا؟

كانت تضعف، وكانت تدرك ذلك.

- حتى يوم الأحد. حاولي أن تتفق بي، يا مالون.
لقد أصبحت تثق به نوعاً ما. نظرت إلى عينيه الرماديتين مباشرة. وما يتبادلان النظارات، إذا بابتسامة ظافرة ساحرة تبدو على وجهه، فشعرت بالعجز. وقال متسللاً بدعابة: «أرجو أن تتفق. أعلم أنك سنكرهيني إذا

الأشقر، ثم شعرت ببرحة في تغيير ملابسها. لكن هاريس لم يكن يفوتها شيء.
ولم تشا أن يظن أنها غيرت ملابسها لأجله. ثم من يرتدى الملابس الأنثقة
ليأكل فى المطبخ؟

عندما عادت مالون إلى المطبخ، لم تجد هاريس. لكنها كانت تعلم أنه
غير بعيد. إنه في مكان ما يلتقي نظرة على سير العمل في غيابه.

أعدت مالون الطعام وعندما أصبح جاهزاً، سمعت وقع خطى هاريس
في المطبخ، فسألته: «هل كل شيء على ما يرام؟»

- بعض أجزاء البناء يتقدم بشكل أسرع من البقية.
- هناك لوح خشب غير ثابت في أرضية السلم.

أخذت تفكير في أنه لا يفوتها شيءٌ ولا لما أصبح رئيساً لشركة مالية
معروفة.

أنثاء تناولهما الطعام سألتها: «أين تعلمت الطهي؟ لم أر أي كتاب طهي
في أي مكان هنا».

فردت بصرخة دون تفكير: «الطالما كنت أطهى الطعام».
- ألم تكن أمك تهتم بذلك؟

أنثاء بحاول التنقيب في ماضيها؟ ونظرت إليه بحدور. أم أنه مجرد سؤال؟
وأخيراً، لم تجد ضرراً في أن تجيب: «القد حطمها موت أبي، ففقدت اهتمامها
 بكل شيء عندما مات».

نظر هاريس إليها بطريقه الثابتة تلك، ثم سألها بهدوء: «حتى بك
أنت، ابنته؟».

كبحت مالون مثابر الاستباء. ولكن، نظراً للمودة التي تشعر بها
نحوه قررت الاستمرار في الحديث: «الأجل فقط قررت الاستمرار في العيش
بعده».

- كم كان عمرك حين توفى أبيوك؟
- ثلاثة عشر عاماً. كان رجلاً رائعاً، هادئاً رقيقاً.. وجراحاً ممتازاً.

هزت مالون رأسها: «إذا كان الأمر ميّان بالنسبة إليك.. سابقني هنا
وأشار لك هذا الطعام». أوما هاريس راضياً، ثم أراها كيف تستعمل هاتفه الخلوي، وتركها.
اتصلت بأمها متربدة كيف تشرح لها.
- مرحباً، يا ماما. هذا أنا.

- مالون، كم ارتحت الآنا؟ قال السيد فيليبس إنك لم تعودي تعملين
عنه، عندما اتصلت به. أين أنت الآنا؟ كنت قلقة..

- ماما، لا حاجة بك إلى القلق. فأنا لست بعيدة عن منطقة «لاور
ماسي» حيث كنت أعمل، بعيدة عنه عدة أميال فقط.

- ماذا حدث؟
ومع أن مالون نكره، تضليل أمها، إلا أنها قالت لها إنها لم تسجد مع
رولاند فيليبس جيداً، ولديها الآن وظيفة أحسن مع شقيق زوجها كمشورة
على العمل وعلى تسلم الأثاث. وأثبتت حدثيتها قائلة: «إنه عمل مؤقت فقط
وأنا شغوف به».

- حسناً، ما دامت سعيدة. أنت تعملين أن لك هنا مكاناً دائماً.
- طبعاً. كيف حال جون؟

وعندما أثبتت المكالمة، أخذت عليها أمها بإعطائها اسم مخدومها وعنوانه
لتتصل بها ما دام ليس لديها هاتف. وكذلك أرادت من مالون أن تتكلم مع
جون.

- هل سمعت أمك تقول إنك تعملين عند هاريس كوبيليان.
سألها جون، وعندما ردت مالون بالإيجاب اتضاع أنه يعرفه، لأنها
تابع يقول: «حسناً، لا حاجة للقلق عليك. فهو هاريس كوبيليان هو رئيس
شركة «وارن ونير» للموارد المالية وهو أكثر الرجال المعروفين،
استقامة».

غضت مالون وجهها، ووضعت زينةحقيقة عليه، ومشطت شعرها

كان الكل يقول ذلك.

- هل كان جرحاً عاماً؟

- كان الأنفل في جميع المقول. لا عجب في أن أمي توقفت عن أي نشاط.

لكن مالون لم تنس أن تتحدث عن تلك الأيام العصيبة، وتابعت بشاشة: «تزوجت أمي مرة أخرى مؤخراً. وبعد سنوات تعيسة غيفة، أصبحت سعيدة مرة أخرى. وهذا هو المهم».

فقال بدهاء: «أنقذين إنه لم يعد لك مكان الآن؟».

- هذا ما لم أفله بالضبط. فهذا المساء فقط، عندما اتصلت بهما هاتفياً، وذاك هاتفك بالمناسبة.

وأشارت إلى منضدة العمل وهي تتابع: «قالا إن ثمة مكاناً في معهما». قبل أن يقول شيئاً، تابعت بجهاء: «لكتني أفضل العيش هنا، طبعاً».

- مع خشب الأرض المهرئ؟

وأضاف بشبه ابتسامة: «هل كنت تمثلي مع أمك قبل زواجها الثاني؟».

- كان لدينا شقة صغيرة. وكانت أمي مستكدر لو أنني قلت لها إنني سأبقى في تلك الشقة ولن أنقل معها إلى بيت زوجها. كما أنني كنت أبحث عن بديل لوظيفتي.

- وهكذا اعتقدت أنك ستكونين أسعد لو وجدت عمل مدبرة منزل مع سكن مؤمن؟

- لم يكن العمل كله تدبيراً منزلياً. صحيح أن بيت صهرك كان يحتاج إلى التنظيف، لكنني لم أتعود على الكيل. مكتب رولاند فيليبيس كان غارقاً في الفوضى أيضاً، فاقتصر على أن أنظمه، وأفرز ملفاته، إنه ..

وسكتت فجأة. لم تكن تزيد أن تفكير في رولاند فيليبيس، وكيف بالحديث عنه. وقالت نعير الحديث: «أحضر لي ديك» بعض الخوخ من

أشجاره أمس، فصنعت فطيرة طازجة، أم تريد جيناً بعد الطعام؟».

نظر هاريس إليها لحظات بصمت، ثم قال بيده: «أتعلمين، يا مالون؟ أظنتني كنت الرابع عندما طلبت منك الإقامة هنا».

سرّها قوله، إلى حد لم تعرف معه ما تجib. أرادت أن تقول شيئاً ظريفاً لكنها لم تجد شيئاً سوى التجلّل. ازدردت ريقها بصعوبة، لتقول: «أنتظن أن كلّاماً كهذا ينجيك من فعل الأطباق؟».

فتمضي يقول مازحاً: «المة غالة للأطباق هنا».

لكرتهما لم يستعملوا عدداً من الأطباق يبرر استعمال غالة كهربائية لهذا غسلت هي الأولى بينما جففها هاريس. ومرة أخرى تلكها شعور بالتجعل، فقد بدا قربها منه ودياً وحيناً. غيرت وضعها، مبتعدة عنه. ريا، ما الذي حدث لها؟ هاريس مجرد مساعد لها... سينهله أن يعلم ما يدور في ذهنها.

ابتعدت عنه لطمئن إلى أن كل شيء مرتب ثم قالت بعد قليل: «أظنتني سأصل إلى سريري».

شعرت فجأة أن اهتمامها بهاريس طفى على اهتمامها بأي رجل آخر حتى كيت مورغان.

رفعت يصرها إلى هاريس فوجدها يحدق إليها بانتظاره الثابتة تلك. وسألتها: «هل تذهبين، عادة، إلى النوم مبكرة بهذا الشكل؟».

- لا... ليس دائماً. لكنك هنا لتهتم بالمكان اللبلة. لذا أشعر بأنني حرّة في الصعود إلى غرفتي وإنها كتابي.

فقال برفق: «يمكنك أن تحضرني كتابك إلى غرفة الجلوس».

فقالت متلعمثة: «سوف... أـ... أرى».

لكرتها تركت المطبخ، عالة بائنا لن تعود إلى الطابق الأسفل مع كتابها... تلكتها شعور بعدم الارتياح لأنّه يعلم ذلك هو أيضاً.

لم يكن السبب أنها لا تثق به كما حدثت نفسها حين جلست في غرفتها

لتحلل مشاعرها.

إنها مترجمة معه في حين، وخجولة عديمة الثقة بنفسها، في حين آخر.

إنها تثق به، وهي تعرف ذلك في قراره نفسها، إلى حد أنها أعادت تلك الكريبي إلى مكانها. لقد أدركت بعد ذلك ساعتين، عندما استقلت لتنام، أن ثقتها بهاريس ثابتة، لأنها لم تنقل باباً. وعندما تذكرت أنه غير مقفل، لم تجد سبباً يدعوها إلى التهوض من سريرها لتنقل.

ورغم أنها نامت، إلا أن أحلامها كانت عنيفة، فراحت تشهد مذعورة في نومها. كانت تعلم أنها تحلم، وأن هذا غير حقيقي. لكنها لم تستطع أن تجد طريقة تستيقظ بها. كانت تعتصرها قوى غامضة وانحبست أنفاسها، ولم يبعد هناك هواء لتنفس. عندما أدركت أنها تختنق، استيقظت وهي شهق بفزع. أخذت جرعة من الهواء وحاولت جاهدة أن تتفق... وثبتنا ثبتنا، ابتدأ نفسها يتنظم. لقد أصبحت بخير. كان الأمر حلمًا... مجرد حلم... لكنها لم تشا أن تعود إلى النوم، لم تشا أن تعاودها الأحلام مرة أخرى.

نزلت من السرير بخوف، وسارت نحو النافذة، تزيد أن تفتحها على انساعها. كانت بحاجة إلى هواء... هواء بارد منعش، ثم عاد ذهنها بعمل مرة أخرى. فهاريس في الغرفة التالية، وقد يزدحج صوت النافذة نوءه.

ابتعدت عن النافذة، مدركة أن عليها أن تعود إلى فراشها، لكنها لم تستطع خوفاً من أن يعاودها حلمها ذاك. اختطفت عيالها القطنية، مسرورة لأنها أبعدت الكريبي عن الباب ولم تعد بحاجة لإزاحة الأثاث.

عندما فتحت الباب بيده، كان الظلام داماً، لكنها لم تشا أن تدخل النور كيلاً يسمع هاريس أي صوت، أو ربما يفتح عينيه فيرى الضوء. وعل الفور تذكرت لوح الخشب المهزئ فتجبه، لتجد طريقها إلى أسفل السلم.

عندما وصلت بسلام إلى أسفل السلم، أدركت الخطر المتمثل بأدوات

البناء الملقاة في الجوار، لكنها شعرت بأن بإمكانها أن تشعل الضوء الآن. استيقظت تماماً فلم تشا العودة إلى غرفتها كيلاً يغلبها النوم مرة أخرى فتعمد إلى الاستيقاظ مذعورة. سارت بيده إلى الباب الخارجي الذي كان هاريس قد أغلقه، ثم وقفت في الخارج وسط هواء الليل البارد وأخذت تنفس عميق إلى أن شعرت، بعد خمس دقائق، بالهدوء الكافي فعادت إلى الداخل.

توخت الهدوء البالغ، ثم عادت تنقل الباب الخارجي. كانت تعلم أنها لا تريد العودة إلى غرفتها، وكما كانت تفعل مرات عديدة في منتصف الليل، توجهت إلى المطبخ. لكنها استغرقت أن ترى المطبخ مضاءً. أدركت أن هاريس نسي أن يطفئِ المصباح قبل أن يصعد إلى غرفته، رغم أنها لا تذكر أن المصباح كان مضاءً. عندما دفعت الباب، غلوكها الذهول لرؤيتها هاريس واقفاً بمنتصف المطبخ. وهتفت على الفور: «هل أزعجتك؟».

اجابها بلطف: «لا يمكن لرجل أن يعضر كوبياً من الشاي من دون أن تتدخل!».

شعرت بالفزع. لقد جاء هذا الرجل إلى منزله طلباً للراحة والاسترخاء، وهذا هوذا يستيقظ في منتصف الليل يسبها: «أنا آسف». اعتذر شاعرة بالتعاسة، ثم استدارت لعمود إلى سريرها الذي أصبح أبغض الأمكنة إليها. صوته أوقفها عن الحركة: «كوابيس؟».

فاستدارت إليه: «كنت... ظننتي وذعنها، لكنها عادت». وضع أوراق الشاي في الإبريق وهو يسألها: «متى؟ متى؟» عادت تلك الأحلام!».

- لبلة البت للاضيء.

بدا وكأنها لا تعرف المراوغة.

- ذلك البت الذي خرجت فيه فقابلت رولاند فيليبس مرة أخرى.

صرح بهذا دون أن يضطر إلى الاستئاج، لكنه لم يترسل في هذا الموضوع، بل دعاها: «أجلسي وشاركيني الشاي. إلا إذا كنت تفضلين شراباً أقوى».

- الشاي جيد تماماً.

أجبت مالون، وهي متربدة في البقاء وشرب الشاي معه وإذا بها تتبه فجأة إلى أنها ترتدي ثياب النوم فيما كان هاريس يرتدي روبأ فقط، يكشف ساقيه وصدره المكسو بالشعر. وفجأة، تقدمت وجلست على كرسي أمام المائدة.

- سكر؟

- ماذا؟

- هل تودين سكرأ في الشاي؟

- حا.. لا.

أجبت بذلك وهي تقوم بجهد لشمالك نفسها: «لا أظنتني أحدثت أي جلبة. لم أكن أريد أن أزعجك».

- أنت لم تزعجيوني بل كنت مستيقظاً مسائلاً عما إذا كنت سأوقظك، إذا ما جئت في البيت.. وإذا بي أسمع أصوات أشارت إلى أنك تعانين من ضيق في التنفس.

- آه، يا هاريس، أنا في حالة سيئة.

نظر إليها، وأحضر كوب شاي، ثم أجب وهو يجلس إلى المائدة أمامها: «لا، أنت لست كذلك. أنت تعانين من صدمة أصابتك، أو كانت ستصيبك لو أنك لم تتمكنني من الهرب من فيليبس».

حدقت مالون إليه. إنه يبدو متفهماً وشعرت أن بإمكانها أن تحدثه عن كل شيء: «ولكن، أما كان من المفترض أن أنهى من ذلك الآن؟».

- لا، أبداً. فانت حساسة للغاية يا مالون. لقد ذهبت لسكنى وتعمل في منزل فيليبس.. لا يعانيك بأن فيليبس رجل شريف.

سكت فجأة ثم عاد ينظر في عينيها، رافضاً أن تخوّل نظراتها بعيداً، ثم قال بلهمجة ذات معنى: «كما أن ما حدث لك من قبل... .

- لا، لم يحدث شيء».

أنكرت بحده وقد فارقها الهدوء، بينما بقي هاريس هادئاً بشكل يثير الغموض، وعيناه عليهما رافضاً أن يدعها، ثم قال يعتذر من دون أن يبدو عليه التدم: «سامعيني، قلت في اليوم الذي تقابلنا فيه، إنك نلت الكفاية من الرجال الذين يظنون أنك متلهفة للخروج معهم».

- ألم تنس شيئاً آخر؟

- ماذا؟

- إنك لا تنس شيئاً، كما يبدو.

علقت بحده. لقد ضاعفها فلماذا لا تضايقه؟ لكنه بقي ساكتاً ولم يضايقه ذلك مقدار ذرة: «لم أنس ذلك. وبما أن المشاعر التي تعيش في نفسك تربد أن تخرج، فلأت دواماً متزوجة.. خوفاً من أن يستغل أحد ما ذلك».

عاد مرة أخرى بحمل نفسيتها، فلم يعجبها الأمر، وسألته متهكمة: «أي نوع من الكتب تقرأ قبل النوم؟».

ابتسم، وكانت ابتسامته جبلة، فذاب شيء في أعماقها. وعندما سألها برقه: «ماذا حدث، يا مالون، ليجعلك تدافعن عن نفسك؟»، أرادت أن تذكر بشدة لكنها وجدت نفسها عاجزة عن ذلك.

- لا...

حاولت الاحتجاج، لكن الكلمة رفضت الانطلاق من بين شفتيها، فعادت تحاول: «أنا...».

ثم وجدت نفسها تحدثه، وهي ترتعش قليلاً: «بعد ستين من وفاة أبي، تزوجت أمي مرة أخرى. وكان الزواج كارثة منذ البداية تقريباً، فسألتها بدهونه: «وماذا؟».

- كان زوج أمي، أمبروز جنكشنز، مهتماً بأموال أبي أكثر من اهتمامه

بسعادة أبي.

وتحولت نظراتها عنه وهي تعود إلى تلك الأيام المروعة: «وعندما انتهت الزواج كانت أموالنا قد نفدت. حتى البيت الجميل الذي اشتراه أبي، ذهب».

- هل انقلت مع أمك إلى تلك الشقة الصغيرة من دون هذا الرجل؟

- نعم، ومن دون ابنه الكريبه!

- وهل عاش ابنه معكم في بيكم السابق؟

- نعم. ومنه تعلمت أن أضع كرسيًّا تحت مقهى باب غرفتي إذا أردت العزلة.

فألهب برقه: «هل حاول أن يتحرش بك؟».

- لم يكن يتورع عن المحاولة في غياب الآخرين.

- كم كان عمرك؟

- خمسة عشر عاماً. ولكن آباء بدأ عندما بلغت السادسة عشرة.

- أبوه؟ هذا أنا... .

وكيح هاريس ما كان سينطلق من فمه من سباب.

- كان كلامه أكثر من فعله.

- وماذا كانت أمك تفعل طوال ذلك الوقت؟

- تفعل؟ لا شيء. لم تكن تعلم. كنت حريرصة على الآباء وحدني في الغرفة نفسها مع أي منها.

- حسناً. ولكن... لم تخبرني أمك بما كان يحدث لك؟

- وكيف يمكنني ذلك؟ فقد كانت عاجزة بعد موت أبي. لم تعلم إلا في ما بعد أن زوجها كان رجلاً فاسداً.

- وهكذا تحملت كل ذلك وحده؟

فقالت، محاولة أن تبسم: «كل ذلك انتهى الآن».

- لكنه ترك آثاره عليك.

فقالت بمرح: «سأعالج الأمر».

- أنا واثق من ذلك.

شعرت نحوه بمودة بالغة، وعندما نظرت في عينيه الودودتين شعرت بقصة في حلتها. وفجأة، نهضت واقفة: «هل لديك مانع إذا لم أشرب الشاي؟».

شعرت بأنها في حاجة إلى أن تلوذ بمحجرها الآمنة.

نهض هو أيضاً من دون أن يمس الشاي، وسألها: «ماذا حدث؟».

- لا شيء.

ثم حدقت في وجهه الوسيم وتابت: «القد أخبرتك الآن أسراراً لم أخبرها لأحد قط، وأظنني أشعر بالدوار».

وابتسمت، فقال بطمأنيتها بهدوء: «سرُّك آمن مني».

- أعلم ذلك.

- هنا بنا نضعلك في سريرك. عليك أن تستيقظي باكراً. ضحكت لوقاحة كلامه. إنه هنا... وهو ماهر في إعداد الشاي. ليكن بوب ميلر زيونه الأول في الغد في شرب الشاي.

اطلنا هاريس أنوار الطابق الأسفل، ثم أضاء السلم وصعد معها. وعندما وصلا إلى الفسحة، قال خذراً: «احذرِي من لوح الخشب ذاك».

تذكرت كيف لاحظه سابقاً، فنظرت إليه لذكره بأنها هي التي أخبرته عن ذلك اللوح الخشبي لكنها لم تنظر إلى موطن قدميه، فداست على ذلك اللوح المتهالك وبدأت تسقط عالة، وهي تمسك بالهواه، أن لا شيء سيقتلها.

منذ هاريس يديه محاولاً أن يمسكها، ولكن، وهو يقوم بذلك، لم يكن ينظر إلى موطن قدميه، هو الآخر، فداس بقدمه على اللوح نفسه... وسقط الاثنان معاً.

طلبت منه بعجز وهي تفتش عما تقوله. وعندما وقف وساعدها على النهوض، قالت بمرح: «دعني أعلم متى خُدْت نفسك بحاجة إلى عنق، وسأرى ما يمكنني فعله بهذا الشأن».

لم يكن قولها جاداً، ولكنه أفضل ما يمكن في هذه الظروف.

ذهبت إلى غرفتها دون أن تضيف كلمة أخرى وأغلقت الباب خلفها ثم استندت إليه، ورأسها يدور في دوامة. لقد عرفت العناق من قبل، ولكنه لم يكن بهذه الروعة. قال هاريس إن عنقه لم يكن تمهيداً لشيء ما ولكنها لم تكن تريده الأبداً ذاك العناق إلى شيءٍ آخر! كانت تريده أن يعانقها مرة أخرى وبعد رياه.. ما الذي يحدث لها؟

أوشكت مالون أن تضحك.. تعذر.. أن تقول شيئاً مرحأً عن بيته الملي بالمخاطر.. لكنها انتهت إلى أن جسده يلتصق بها.. ولم توقف لتفكير في أن قربه هذا مؤقت إلى حين يتمكن من النهوض على قدميه.

صرخت به وهي تضربه على صدره: «ابعد عنّي!».

فقال يهدّنها: «هشّش...».

نظرت إليه، وعندما لم تر على وجهه ذلك التعبير الشهوانى الذى اعتادت رؤيته على ملامع أمبروز جنكينز وابه، أو رولاند فيليبس، ابتدأ عالمها يستعيد لونه. وتحمّل هاريس: «ولا ب مليون سنة، هل نسيت؟».

وشعرت بالخجل من نفسها: «آسف».

ولكن قربه منها أوجد في نفسها شعوراً غريباً، وتنعمت: «أنا ألق بك تماماً.. ولكن فقط».

- العادات القديمة تموت بصعوبة.

- شيئاً كهذا.

أجابت بذلك، وعندما حاول هاريس أن ينھض، نظرت إليه. فردد وعيشه في عينيه، ثم انحدرت نظراته إلى قدمها، ثم عادت إلى وجهها. ثم، وبتمهل، عانقها بكل حنان ورقابة. شعرت بدفء عناقه وأحضانه فاتجحت أنفاسها. أدركت أن هذا العناق الرقيق سرّها للنهاية. أرادت أن تبادله عناقه، لكنها خافت من أن تتحرك فتبدد السحر. وهكذا، بقيت ساكنة، أقرب مما كانت عليه مع أيّ رجل قط، وسرعان ما أنهى هاريس عناقه.

ثم ابسم ونظر إليها: «لا شيء يستوجب الفلق يا مالون، كنت بحاجة إلى عنق. هل قال لك أحد إن نظاراتك شديدة الإغراء؟ وهذا العناق الخفيف ليس تمهيداً لشيء ما».

كان قلبها يخفق بجنون، فقالت بصوت أربع لم يدعها: «هل ستدعني أنهض؟».

عاد هاريس إلى المطبخ، وشعلها بانتظاره وهي مرتدية الجينز الطويل،
والقميص المقلنس.

- كيف حال وكيلتي المفضلة؟
قالها بعنوية وهو ينفرد ناظراً في وجهها وكأنه يقيّم حالتها. وأجاب
بمرح: «في أحسن حال».
لم تكن تريده أن يعلم أنه شغل بالها ليلًا: «أحضر باز بعض البيض
الطاраж أمس. أتريدتها مسلوقة أم مقلية؟».

تبادل النظرات، ولكن نظرة واحدة منها إلى وجهه جعلت قلبها يخفق.
وعندما بدأ يبتسم حولت عينيها بعيداً. وأجاب: «لم أكل بيضاً طازجاً منذ
سنوات».

سكت مالون الشاي وناولت بوب ميلر فنجانه من نافذة المطبخ، ثم
انشغلت بسلق البيض لنصرف ذمته عما شعر به من توتر واضطراب.
وأثناء تناولهما القطور، سألهما: «هل تلقيت ردًا حول طلب العمل

الذي أرسلته؟».

- وهل تطلب مني الرجل؟
سألت وهي ترتفع، فأدركت أن توترها يزداد، أكثر مما كانت تظن.
وخصوصاً عندما نظر إليها بدهشة: «ما الذي جعلك تظنين ذلك؟ لم أقل
لتوبي إنك وكيلتي المفضلة؟».

آخر وجهها ارتباكاً: «نعم، هذا ما فهمته منك. حسناً، إيهم لا
يريدونني في الوظيفة».

- خسارتهم هي ريح لي. بمناسبة الحديث عن الرجل، ربما من
الأفضل أن تغيبي هذا النهار.

نظرت إليه باتزان: «لكنك لا تطلب مني الرجل؟».
- لا، بكل تأكيد. هناك أكثر من لوح خشب واحد مهترئ على فسحة
السلم. وقد رتبت الأمر ليفيزوا كل الألواح القديمة، ولا شك أن الضجة

٥ - صدمة الحقيقة

في الصباح، بدأ مالون متتسلاً مرة أخرى، وإن كانت حائزة قليلاً
لما أثاره هاريس فيها من مشاعر حين عانقتها بحنان ورقة الليلة الماضية.
ستتبه أكثر في المستقبل ولكن هذا لا يعني أن الأمر نفسه سيتكرر، فهي
لن تترك غرفتها في منتصف الليل. فلا شيء حتى ولو كابوس سيعملها على
ذلك.

اعترفت بأنها شعر بشيء غريب هذا الصباح. قال لها هاريس إنها
كانت بحاجة إلى عناق خفيف وبسيط، لكن قوله لم يعني على أي مدى
إياها تفكير في ذلك الآن، وهي تجد في قوله ونحوه أنها كانت تفضل أن يعانقها
لأنه لا يستطيع مقاومة ذلك، وليس لرفع معنوياتها.

لذلك، فررت لأن تعجبه قدر الإمكان. لقد ذات وقت الندم لأنها لم
تنذهب إلى الفندق الليلة الماضية. إذا طلبت النهاية إلى الفندق الليلة،
فستلتف الاتجاه إلى حقيقة مشاعرها.

بعد أن ارتدت ثيابها، نزلت إلى الطابق الأسفل لتجد أن هاريس قد
سبقها وأخذ ميجول في أنحاء المنزل.

نظرت من نافذة المطبخ فرأته يتحدث إلى بوب ميلر. لقد جاء بوب
مبكراً عن العادة. هل تعمد ذلك عن سابق تصميم أم أن هاريس اتصل به
هذا الصباح؟
لم تستمر مالون في التساؤل طويلاً. كانت قد أعدت الشاي لنوتها حين

ستكون مروعة.

اعتداد مالون على جلبة البناء، لكنها تفهمت وجهة نظره: «شكراً لهذه الفكرة المقيدة».

- يمكنني أن آخذك إلى المدينة بسياري، وبهذا يمكنك أن تسوفي كما ثائين.

لكن قلقاً اعتبرها ولم تفهم سببه، كانت تعلم أن جلوسها بجانبه في السيارة لم يكن جزءاً من خطتها في تحبيه قدر إمكانها.

- إنه يوم جميل، وأظنتني ساذب في نزهة طوبولة على الأقدام.
أجابت بذلك ثم تذكرت على الفور يوم السبت الماضي عندما صادفت رولاند فيليبيس.

أخذت عيناه تفحصان وجهها: «أتريددين صحبة؟».

سألها بحدار، وأنبأها حاسستها القرفة أنه تذكر رولاند فيليبيس هو أيضاً. فأجابت ببطء وصدق: «هناك أشياء عليّ أن أقوم بها بمفردي». ابن هاريس مشجماً: «يا لوكيلتي الماهر».

لكنها شعرت بسرور بالغ.

انطلقت حلاً انتهت من غسل الأواني، وساربت بثبات على الطرقات القديمة بين الأشجار الخضراء. لم تكن تقصد مكاناً معيناً، لكنها كانت تحمل بعض النقود تحسباً لمرورها بدكان ما.
كان اليوم جيلاً، كما قالت لهاريس، وبما أنها عانت من الطقس المطر، شعرت بالبهجة للخروج. لقد عرض عليها صحبته فرفضت. لكنه لم يبارح ذهنها وكأنه كان يسير معها.

لم يكن لدى مالون فكرة عن المسافة التي قطعتها إلى أن اكتشفت فجأة أنها في منطقة «شروين». ويداً لها مكاناً جيداً للتوقف.
وفيما استدارت متوجهة إلى الدكان، رأت رجلاً يخرج منه نحو سباراته الترفة. كان رولاند فيليبيس، وبما أنه لم يرها، يمكنها أن تخفي في الطريق

الذي جاءت منه، ثم تبقى متوازية حتى ينطلق في سبيله.
لكتها ترددت. كان تفكيرها صاباً. لكنها تذكرت فجأة قول هاريس
نادركت أن هربها لن يقضى على خاونها الشخصية.
تابعت سيرها، ورأها فوق وقال بلوزم: «حسناً، ها هي رفيقة هاريس
الصغيرة».

وأخذ ي Finchها بنظراته، بينما استمرت هي في طريقها دون كلمة.
ويبدو أن الأمر لم يعجبه لأنه قال لها: «أنا ذاهب في الجهازك، إذا شئت
ساوصلك».

- لا، شكراً.

- هيا، لا تكوني عنيدة.

ووضع يده على ذراعها لمنعها من السير.

شعرت بالاشمئزاز للمرأة. وبدلاً من شعورها بالخوف، أحسست فجأة
بالغضب، فقالت بحرز: «ارفع يدك عنّي».
فقال باتسامة ظنها خلابة: «لا تكون فظلة».

وإذا بغضب مالون يزداد، لأنها تركت هذا المخلوق بسبب لها كل تلك
الكوابيس المرعبة.

ازداد غضبها إلى درجة جعلتها تقول: «أنت لا تعجبني. أنت في نظري
كريه للغاية. وفي العادة، أنا لا أحظ من قدرى بالحدث إلى أمثالك، لكنني
أقوم باستثناء هذه المرة لأخبرك بأنك إذا اقتربت مني مرة أخرى، فانا لن
ترد في أن أقدم بشكوى ضدك إلى الشرطة».

لم يعجبه كلامها، لكنها لم تهنم، فلم يعد لديها شيء تقوله له. نزعت
ذراعها من قبضته، ثم تابعت طريقها إلى الدكان، ومن هناك سلكت طريق
دهار كورت هاوس*. لو أنها فكرت مسبقاً في احتمال مواجهتها رولاند
فيليبيس، لظلت أنها ستتفجر باكية، لكنها شعرت الآن بالبهجة.
كان جيلاً للغاية إلا تشعر بالخوف مرة أخرى. ولكن ذلك الرجل

المقرز يستطيع أن يهزها جسدياً، إلا أنه كان ذكياً.. ذكياً بما يكفي لتعلم أن أي خبر عن محاولته اختصار امرأة، كفيل بأن يهز وظيفته المرموقة في تلك الشركة الضخمة التي يعمل فيها. وتساءلت عما منعها من التفكير على هذا النحو من قبل، ولم تجد عذرًا لها سوى الح Kov من هذا الرجل.

كثما اقتربت من «هاركورت هاوس» كلما كانت صورة رولاند فيليسي تبعت في ذهنها، لتخل محلها صورة هاريس. وتساءلت عما يفعله مع النجارين المشفولين يتغير الواح الخشب الأرضي. وفجأة، تلكها اضطراب لفكرة أنه ما دام يأتي إلى بيته ليستريح، فلا بد أنه عاد إلى لندن هرباً من كل هذه الجلبة.

لدى وصولها إلى طريق المنزل، بحثت عن سبارته. كان معظم العمال قد فرغوا من العمل، ورأت سيارة بوب ميلر وسيارة سيريل إضافة إلى سيارتين آخرتين، ولكن لم تكن أي منها سيارة هاريس.

حدثت نفسها بأنها غير قلقة. ولماذا تقلق؟ لهاريس الحق في الخضور والذهاب متى يشاء. عندما بلغت الباب الأمامي، ارتأت الدخول من الباب الخلفي، ولكن سيارته لم تكن هناك أبداً.

دخلت مالون إلى المطبخ، فتبعد شعورها السابق بالبهجة، كلباً، وحل مكانه الكآبة. رغم أنها رأت أن الأرض قد فرشت بمزيد من السجاد لكنم الضريح الذي كان يضم الأذان.

في الساعة الرابعة والنصف، أتى العمال تغيير الألواح وذهبوا إلى بيوبهم. فآخرجت مالون المكنة ونزلت السلم والردهة مزيلاً الطعام والغبار عن الباب الخلفي.

عندئذ، دخلت سيارة الثان التابعة لبائع الأدوات الكهربائية. وقف تنظر، آملة في أن لا يكون السائق قد رأى ما فدخل ليسألها عن مكان ما... فياستثناء دكان «شروين» ومنزل «آلورا لودج»، كانت غريبة عن هذه المنطقة.

- الآلة بريتويت؟
هض السائق باسمها وهو يترجل من السيارة، وقبل أن تغب، نابع يقول: «أحضرت لك تلفزيون».

فتح قمهما، لتبسم. بانت سيارة هاريس في الطريق، فعادت باتباعها إلى الرجل: «من الأفضل أن تحضره إلى المطبخ. لا أنه ضروري في غرفة الاستقبال».

- بل هو ضروري. لقد سبق وأتي أحدنا اليوم.

- إذن، فليكن في غرفة الاستقبال.

ثم أرته المكان، وكانت في المطبخ عندما تبعها هاريس بعد أن توقف ليتحدث قليلاً إلى الرجل.

اقرب منها: «كيف كانت تزهتك؟».

القى عليها السؤال بهدوء وعيانه تفحص وجهها وكأنما حدث شيء ما.

ابتسمت بمعنويات مرتفعة، ولم تشا أن تتحدث عن رولاند فيليسي.

وأجابت: «بخير».

بذا هاريس متوقعاً مزيداً من التعليقات فأضافت: «ظنتك عدت إلى لندن».

- وهل هذا يعني أنك مسرورة أم آسفة؟

ولكته استدار متعمداً وهو يقول خارجاً من المطبخ: «ذلك هو جهاز التلفزيون».

كانت والدة من أن الابتسامة تغزو وجهه فشكنت بأنه صعد إلى الطابق الأعلى ليتحقق أرض السلم الجديدة.

ذكرت في أن تصعد هي أيضاً وتغير ملابسها التي ارتدتها طوال النهار، لكنها فجأة، شعرت بالخجل. ورغم أنها أخذت تفكير في سخافة موقفها، إلا أنها لم تستطع أن تخفي حاجز الخجل. لقد وقعاً أمس هناك على الفسحة المنطة.

واعتقها و..

نبذت مالون هذه الأنكار.. رباء، لم يكن سوى عناق... ورغم أنه لم يكن ذاك العناق البري كلياً، إلا أنه لم يكن شهوانياً أيضاً.

ركزت أنكارها على العشاء. لقد اشتربت بعض اللحم المفروم من «شروين» آملة في أن يحب هاريس المكرونة السباغيتي. وعندما سمعتة ينزل السلم ويتجه نحو غرفة الاستقبال، تسللت من المطبخ وصعدت إلى غرفتها لغير ملابسها. كانت متلهفة إلى أن تأخذ دوش، لكنها نسبت أن تخبر الباك عنه.

غسلت يديها وجهها وارتدت ثوباً قطرياً ثم نزلت إلى الطابق الأسفل فوجدت أن العامل الفني قد ذهب وكان هاريس قد أداه إلى المطبخ مع صندوقين يحويان بقالة.

- ماذا يحويان؟

- ربما أشياء عديمة النفع. ولكن، ما دمت ترفضين القدوم معي، فتصوري ماذا بإمكان رجل أن يشتري من سوبر ماركت؟

ضحكـت، وكانت تبسم عندما رأت أن عينيه استقرتا على وجهها.

وغلـكـها الذهول فجأة للمنحنـى الذي اخـذـهـ أـنـكـارـهـاـ، ففارـقـتهاـ الابـسـامـةـ وـشـعـرـتـ باـلـارـبـاكـ.

سألـتـ بعدـ فـترةـ: هلـ تحـبـ المـكـرـوـنـةـ السـبـاغـيـتـيـ؟

ثمـ اـنـتـهـيـتـ إـلـيـ أـنـ يـحـدـقـ فـيـهاـ وـكـانـ يـتـاءـلـ عـمـاـ حـدـثـ لـهـ فـجـأـةـ فـاسـمـاـهـ الـأـمـرـ.

توـقـعـتـ أـنـ سـيـطـلـ مـعـرـفـةـ السـبـبـ فـيـ تـحـوـلـهـاـ مـنـ الـابـسـامـ إـلـىـ الـجـمـودـ،

لـكـنـ تـرـكـ الـأـمـرـ يـمـرـ.

- المـكـرـوـنـةـ السـبـاغـيـتـيـ هيـ أحدـ الأـطـبـاقـ المـفـضـلـةـ لـدـيـ.

ردـ بشـيءـ منـ الفـتـورـ فـادـرـكـتـ أـنـ لـاـ يـبـهـاـ وـأـنـ يـكـذـبـ عـلـيـهاـ.

لـكـنـهـاـ لـمـ تـشـعـرـ بـرـغـبةـ فـيـ الـفـسـحـكـ.

وـغـادـرـ هوـ الـمـطـبـخـ بـعـدـ دـقـائقـ، وـبـعـدـ

نـحـوـ دـقـيقـةـ سـمـعـتـ صـوتـ التـلـفـزيـونـ.

بعد حوالـيـ ساعـةـ وـنـصـ، جـاءـ إـلـىـ الـمـطـبـخـ للـعشـاءـ، وـأـدـرـكـتـ أـنـاـ كـانـتـ

تشـعـرـ بـالـتـوـرـ أـكـثـرـ مـنـ بـالـارـبـاكـ.

لـمـ يـتـمـلـكـهاـ مـثـلـ هـذـاـ الشـعـورـ قـطـ، فـلـمـ

تـسـطـعـ أـنـ تـفـهـمـ.

ظـلـتـ أـنـاـ قـدـ تـفـهـمـ ذـلـكـ أـكـثـرـ لـوـ أـنـاـ لـمـ تـشـعـرـ بـشـيـءـ

نـحـوـ هـارـيسـ، لـكـنـهاـ تـعـزـهـ جـداـ.

أـنـاءـ الـعشـاءـ أـخـذـ يـتـحدـثـ بـرـقةـ بـالـغـةـ وـطـلـاقـةـ، فـفـارـقـتهاـ التـوـرـ.

تـمـلـكـهاـ اـهـتمـامـ حـقـيقـيـ عـنـدـهـاـ عـنـ خـطـطـهـ لـلـمـنـزـلـ، وـبـدـأـتـ تـشـعـرـ بـالـاسـرـخـاءـ

وـالـرـاحـةـ، إـلـىـ درـجـةـ أـنـاـ تـضـاـيـقـتـ قـلـيلـاـ حـيـنـ تـحـوـلـ الـحـدـيـثـ إـلـىـ مـنـاـثـةـ الـكـتـبـ

الـتـيـ قـرـأـهـاـ.

لاـحـقاـ، وـقـفـ هـارـيسـ يـجـفـ الصـحـونـ الـتـيـ كـانـتـ تـفـلـلـهـاـ فـعـادـ إـلـيـهاـ

ذـلـكـ التـوـرـ المـزعـجـ.

- أـظـنـ أـنـاـ اـنـتـهـيـ.

قـالـتـ وـهـيـ تـشـعـرـ حـوـلـهـاـ لـتـرىـ إـنـ كـانـاـ قدـ نـسـباـ شـبـيـاـ، ثـمـ فـكـرـتـ فـيـ أـنـ

تـذـهـبـ قـبـلـ أـنـ يـلـاحـظـ تـوـرـهـاـ.

شـعـرـتـ بـأـنـاـ تـعـرـفـ الـآنـ إـلـىـ حدـ آنـهـ سـيـالـهـ

عـنـ سـبـبـ تـوـرـهـاـ.

ماـذـاـ تـقـولـ لـهـ بـيـنـماـ هـيـ نـفـسـهـ لـاـ تـعـرـفـ؟

قـالـ لـهـاـ مـدـاعـيـاـ: «أـظـنـكـ حـظـيـتـ بـسـهـرـةـ لـطـيفـةـ أـمـامـ التـلـفـزيـونـ».

نـظـرـتـ إـلـيـهـ فـقـرـ قـلـبـهـ بـعـجـونـ.

عـنـدـهـاـ، أـدـرـكـ أـنـ هـذـاـ التـوـرـ

وـالـاضـطـرـابـ اللـذـانـ يـتـمـلـكـاهـاـ لـنـ يـسـمـحـ لـهـاـ بـالـجـلوـسـ مـعـ صـامـيـنـ فـيـ غـرـفةـ

الـجـلوـسـ.

- أـنـاـ.. سـوـفـ.. أـصـعـدـ إـلـىـ غـرـفـتيـ.

أـجـابـهـ شـاعـرـةـ بـالـذـعـرـ لـاـ بـدـاـ عـلـيـهـ صـوـبـهـاـ مـنـ تـكـلـفـ.

وـأـضـافـتـ كـاذـبـةـ:

وـصـلـتـ فـيـ كـتـابـ إـلـىـ قـسـمـ مـشـوقـ».

نـظـرـ إـلـيـهـاـ، لـكـنـ لـهـجـتـ كـانـتـ لـيـةـ حـيـنـ قـالـ، بـعـدـ أـنـ تـأـمـلـهـاـ قـلـيلـاـ:

«لـنـ دـنـيـرـ التـلـفـزيـونـ إـذـاـ شـتـتـ أـنـحـضـرـيـ كـتـابـكـ إـلـىـ غـرـفةـ الـجـلوـسـ».

آـءـ، هـذـاـ فـنـيـعـ.

مـاـذـيـ جـرـىـ لـهـاـ؟

- أـظـنـيـ سـأـنـامـ باـكـراـ.

رغبت في إنتهاء الحديث، فدارت حوله لتجربة ذلك استدار وتقديمها:
«هل حدث شيء؟، يا مالون؟». سألهما بهدوء فتملكها شعور بالسوء، وأجاها وهي تتنفس من كل قلبها أن يدع الأمر عند هذا الحد: «لا شيء». صدقني؟، وحدقت إليه وقد بدا الانزعاج في عينيها.

قال وهو ينظر إليها بحده: «تعلمين؟ ليس عليك أن تقلقي من شيء». ألم تريديني أن أرحل؟، الجيت أناها. لا.. إنها لا تريده أن يرحل. وأجاها بمثل حده: «لا، لا أريدك أن ترحل!».

- تعلمين أني لست مثل فيليس؟
فهافت: «طبعاً أعلم! وأنا لست قلقة باناً. أريد فقط.. تصبح على خبر».

حدق إليها قليلاً، ثم أفتح لها المجال لتمر وخرجت هي بسرعة. لماذا لا يمكنها أن تكون طبيعية معه؟ لماذا يجعلها مضطربة ومتوترة؟ وصلت إلى غرفتها، فتملكها القلق مرة أخرى وهي تشعر بحافظ قوي يدفعها إلى العودة إلى الأسفل لطمئن هاريس إلى أنها تثق به كلياً، ولا تشعر للحظة واحدة بالقلق بل جلوسهما معاً تحت سقف واحد. لكنه سيظنهما غبولة إذا ما أصرت على إبلاغه أنها غير قلقة، فقررت لا تستسلم للحافظ الذي يدفعها إلى النزول إلى الطابق السفلي.

أخذت كتاباً إلى الكرسي قرب النافذة. كان الهدوء دوماً يتملكها عند نأمل المناظر من نافذتها، ولكن اضطر إليها منها من الهدوء، أو الانسجام مع كتابها، فوضعته جانبًا شاعرة بال الحاجة إلى القيام بشيء ما.

دخلت الحمام لنفف وجهها وأستانها، متحبة لو أن الدوش صالح للعمل. جربته مرة أخرى، دون فائدة. أترى يملك هاريس واحداً صالحـاً في

غرفته؟ لا.. رفضت الفكرة. ثم تذكرت أن هناك حماماً عند فسحة السلم. بعد ذلك بدقة، فتحت باباً ثم أصطفت. كان صوت التلفزيون المخافت صادراً من غرفة الجلوس. أغلقت باباً بخفة، ثم خلعت ملابسها بسرعة ولبس ملابسها القطنية. اخطفت صابونة ومشففه، وبلحمة بصر، خرجت إلى فسحة السلم، وإذا بها تجد أن باب الحمام يحتاج إلى أكثر من دفعه ليفتح.

دفعته بوركتها.. فانفتح. أغلقت الباب خلفها وأخذت تختبر الماء لنرى إن كانت آمالها خاتمة. لكنها وجدت الدوش في حالة جيدة! عقدت شعرها إلى أعلى ثم دخلت الدوش.

وقفت تسكب الماء على كتفيها مدة طويلة قبل أن تستعمل الصابون. ولكن كل الأشياء الجميلة تنتهي، لذا غسلت جسدها من الصابون وأقفلت صنبور الماء، ثم لفت نفسها بمشففه كبيرة، فقط جسمها كله.

أغلقت شاردة باب الدوش قبل أن تخرج. ولكن عندما دامت على أرض الحمام، التفت لتتفقد موضع قدميها.. في هذا المنزل المليء بالمخاطر حيث لا يعرف المرء متى يفترش شيء ويعرضك.. كما سابق واكتشفت.. وإذا بها تشقق برعـب بالـغ وهي ترى هاريس واقفاً هناك يتأملها والماء يقطـر من ساقـها.

كان يرتدي قميصاً وبنطلوناً وعلى كتفيه مشففه. وبيدو أنه دخل لتوه، وقد استدار بعد أن أغلق الباب خلفه. بدا عليه الاشتتان بمظهرها، وجدت مالون مكـامـها، وعندما أصبح اللون القرمزـي لـون وجهـها الوحـيد، أغلـقت صـرـخـة ذـعـرـ حـادـهـ وـقـفـزـتـ رـاكـضـهـ نحوـ الـبـابـ. وـعـلـىـ الفـورـ، عـرـفـ ماـ تـوـيهـ، فـخـطـاـ إـلـىـ يـمـيـنـهـ بـسـرـعـةـ، عـيـنـهـاـ عنـ طـرـيقـهاـ، وـلـسـوـهـ الـحـلـظـ خطـطـتـ إـلـىـ شـمـالـهـ، فـاصـطـدـمـاـ. مـذـ يـدـهـ لـيـسـدـهـ فـأـحـرـقـتـهـ لـسـهـ، وـتـسـمـرـتـ نـظـرـاهـاـ عـلـىـ الـبـابـ. دـفـعـتـهـ عـنـ طـرـيقـهاـ، ثـمـ انـدـفـعـتـ نحوـ الـبـابـ بـقـوـةـ، فـوـجـدـتـهـ مـغـلـقاـ لـيـفـتحـاـ

ملكتها الذعر، فيما راح هاريس يفكك بهدوء. رأى أغراضها حيث تركتها، فلحق بها وأدركها عند الباب وهو ينفف عنها قاتلاً بهدوء: «لا باس عليك يا مالون. أنت آمنة، لن يؤذيك أحد».

ورغم أن ذعرها خفت قليلاً، إلا أنها لم تستطع أن تخفي استياءها. فانفجرت قاتلة: «كيف تدخل من دون أن تتأكد من خلو الحمام». واستدارت تواجهه وتحدق إليه، فقال مداعباً: «آسف لتطليل سيدني الجميلة».

لم تصدق حين وجدت نفسها تتسم. وتكلمت بأن هذا ما يريد، وقالت: «كنت أريد أن أبلغ السباق عن حامي لأنه كان معطلاً هذا الصباح».

وكذلك الأمر في غرفتي. عندما سمعت تدفق الدوش، رأيت أنها نكرة جيدة، فجئت لأرى إن كان الدوش هنا صالحًا للعمل.

ثم ابتسمت سائلاً: «هل أنت بخير الآن؟».

قالت متلهمة: «نعم.. نعم».

لقد تجاوزت الصدمة. لكن وجوده قريباً منها إلى هذا الحد جعل إحساسها به يزداد. قالت: «ساذب».

ثم استدارت إلى الباب مستمدة بجلد مقبشه مرة أخرى بشكل أعنف.

أما هاريس فمذ يده إلى المقبض في الوقت نفسه وهو يقول: «هذا عمل للتجارين».

ثم أراد أن يزكيها، وإذا به يضع ذراعه، من دون تفكير على مقربة من كتفيها.

جعلها الشعور بيده ويلدراجه قرب كتفيها تجمد مرة أخرى. لم تكن تتحرك على أي حال. التفت قليلاً نحوه. والفت هاريس بدوره، وإذا بهما يتواجهان مرة أخرى ليحدقا إلى عينيه ببعضهما البعض.

أبعد يده عنها، وسحبته يدها عن مقبض الباب.

مالون.

لتم باسمها. وببطء، أحن رأسه، وما كانت مالون لتثير رأسها عنه. عندما عانقها جاء عنقه كما تردد هي، رقيقة. وانتهى بمثل السرعة التي ابتدأ بها. شدّها إليه، وكأنه لم يستطع المقاومة، فدفن وجهه في عنقها وقال بصوت خافت: «رائعتك رائعة».

وابتدأ قلبها يخفق بجنون، وشعرت بقبضته تشد على خصرها لثوان ثم ما لبث أن تركها وترابع إلى الخلف. نظر في عينيها متأملاً ثم سألها: «هل مستأخيتي لأنني نصرفت كرجل؟».

اختفى شعورها بالذعر، ولكن قربها من هاريس أرسل في جسدها كل أنواع المشاعر: «أظن.. علي أن أذهب».

لكن قرارها لم يكن ثابتاً لأنها لم تكن ترغب في الذهاب على الإطلاق.

سألها وقد سقطت يدها إلى جانبيه: «ألاست خائفة مني؟».

شعرت مالون بكل شيء عدا الخوف، وأجابته باسمها: «على الإطلاق».

ثم أضافت، ربما بصدق أقل قليلاً: «أنا لا.. أعني.. أعلم أنه كان مجرد عنق صغير، لكنني لا أريد مزيداً منه».

عنق صغير؟ لقد أطاح بدماغها!

بادلها هاريس ابتسامتها ثم ابتعد، نصف خطوة، وهو يقول: «مالون بريتويت الصغيرة».

كانت دوماً تظن نفسها طويلة... لكنه تابع قاتلاً: «ألم تتعرضي للإغراء مرة».

كان بإمكانها أن ترفض الرد على هذا السؤال، لكنها لم تفعل. وفجأة، شعرت بالسعادة. إنها تشعر بالسعادة والارتياح معه مرة أخرى، وكذلك بالقدرة على إخباره بكل شيء. فقللت مقرئه:

ـ بل، منذ شهرين أو نحو ذلك.

- ما الذي حدث؟
من الغريب أن مالون اكتشفت أن لا ضرر في أن تخبره: «قال إنه يحبني،
وقد تواعدنا معاً في عطلة الأسبوع. ولكن، في آخر لحظة، لم أذهب، فأخذ
صديقي بدلاً مني».

فأتمت: «يا للحبيبة السكينة».

- حسناً، كانت هي صديقته أيضاً. كنا، نحن الثلاثة، نعمل معاً.

- هل هذا هو السبب لتركك عملك؟
كان سؤالاً فطناً، لكنه لم يكن يفهم. لم يكن يريد لها أن تجيب ولكنه

سألها فجأة: «هل كنت تحبه؟».

نظرت مالون إليه بنفس الجد الذي يبدو عليه، ثم شهقت بدهشة. لقد
خطر لها في هذه اللحظة أمر وقع كالصاعقة عليها فأشاع الاضطراب في
حياتها لأنه نفس السبب الذي جعل مشاعرها مؤخراً، تتعمل في داخليها
نحوه.

- لا، لم أكن أحبه.
ولكن، وقتاً لشخصيتك، لا بد أنك كنت مولعة به حتى قلت
الخروج معه.

- كان ذلك منذ وقت طويل.
صرفت عن ذهنها الموضوع برج وهي ترى هاريس يقبل ذلك وكأنه
شيء حدث في ماضيها ومات ودفن. لم تابعت تقول: «من الأفضل أن
أذهب وأتركك تستحمد».

قالت هذا رغماً عنها، فسألها: «هل استطع معاونتك قبل ذهابك؟».
ابسمت مالون له فيما لم يجرحها قوله هذا، ولن تجد أفضل منه
ليعانقها. علاقتها القصيرة مع كيت مورغان لم تعد تؤهلها الآن، وهي سعيدة
 بذلك.

تقدمت منه فوضعت يده على كتفها، فشعرت وكان تياراً كهربائياً

مسها. كانا متقاربين بحدقان بعضهما البعض. فجأة، بدا وكأنهما خركا
معاً، وسرعان ما تعانقوا. لم يكن عناقه هذه المرة شيئاً بما اخبرته معه من
قبل، حيث كان عناقه رقباً حنونة... وسرعان ما أذاعت مالون لرغبتها في
أن تندو منه أكثر، فطوقت عنقه بذراعيها فيما أخذها هو بين ذراعيه،
وعانقها بشغف أكبر.

- مالون الخلوة.

تحمّ بذلك، ثم أبعد وجهه لينظر في عينيها، وقال برقة باللغة وكأنه لا
 يستطيع المقاومة: «يا عزيزتي».
كانت متلهفة إلى عنق آخر، فازداد عناق هذه المرة عنفاً، وعاد
يعتضضها مطولاً.

طوقته بذراعيها، فيما جذبها إليه بمزيد من الشدة.
ألقت رأسها على كتفه، وقريره منها يكاد يصيبها بالجلتون. عناقها مرة
أخرى فكاد يخطف أنفاسها.

وابتدأت تفرق في فيض الأحساس التي أثارها فيها، وصدرت عنها
شهقة مؤثرة.

وصل إلى مسامع هاريس هذا الصوت الخافت فحمد مكانه، ثم تراجع
وأخذ ينظر إلى وجهها.

قال يطمئنها يهدوه: «أنت لست في خطأ».
ـ أنا... .

كان هذا كل ما استطاعت قوله عندما استقرت عيناه على وجهها. أخذ
ينظر متفرحاً إلى عينيها المضطربتين، وكانت هي تجاهد بيسأس لكي تجمع
شنان نفسها. قالت كاذبة: «لا أريدك أن تعاancock مرة أخرى».

ـ ما كان لي أن أنكر في هذا السلوك الشائن.
لكنه كان جاداً عندما سمح للضوء بأن يفصل بينهما، وقال: «أنا أعني
ما أقوله يا مالون... فائت بأمان».

- أعلم هذا.
أجابه بذلك ثم تحولت عنه. لكنها كانت مضطربة ولم تتمكن من فتح الباب الموصدة.

تقدم هاريس إلى نجدها يفتح لها الباب لخرج. وقبل أن يتركها، سألاها: «هل أنت بخير، يا مالون؟». كف يمكنه أن يكون بكل هذا المهدوء بينما هي ثائرة الأعصاب بهذا الشكل؟ وأجابه تعطمه: «أنا بخير، فلا تقلق».

ثم مرت بجانبه متوجهة إلى غرفتها.
آمنة؟ لقد أثار فيها مشاعر وأحاسيس صاحبة خارجة عن السيطرة. ولكن من الواضح جداً أنه يتحكم بمشاعره طوال الوقت وهو يقول لها (أنت في آمان). لقد عانقها، وكانت مشاعرها متداقة، لكن عناقهما لم يذر عليه حل الإطلاق.. وإن كف استطاع أن يتركها بهذه السهولة؟ آمنة؟ وما هو الأمان وهي تحب رجلاً لا يريد أن يعلم؟

٦ - هل يخون الجسد؟

منذ اللحظة التي استيقظت فيها مالون صباح الأحد، شغل هاريس ذهنها. إنها تجده وهي حقيقة لن تبند. الشيء الغريب الوحيد هو إدراكها ما يجري داخلها؟ لقد ابتدأ الأمر منذ الأسبوع الأول الذي عرفته فيه! حدثتها بذلك لحظات الحجل تلك، وانتعاد لسانها. ولكن، ما أحيل أن تراه. هذا هو السبب الذي يجعلها تلقيه أحياناً. هذا هو السبب.. وووجدت نفسها تسترجع عناقه ولسانه.

ما الذي جعلها تظن أن شعورها بذلك نحو كيت مورغان كان حباً؟ لقد جرحتها حينذاك، لكن أثره كان جرحأً لكرامتها فقط؟ ربما تألت قليلاً حين تبين لها أنه متقلب المشاعر ومن طينة أمبروز جنكز وابنه لي.

ومهما يكن، باتت تعرف الآن قوة مشاعرها نحو هاريس.. حبها له.. إن ما شعرت به نحو كيت لم يكن حباً.

تركت سريرها لتغسل وجهها وترتدي ثيابها، متسائلة عما إذا كانت، حينذاك، تفتش عن عنذر ما كيلا تذهب مع كيت.

لكن كيت مورغان كان بعيداً عن ذهنها عندما فتحت باب غرفتها، فتوقفت قليلاً وجدبت نفسها عميقاً.

ادركت من الأصوات الصادرة من الأسفل، أن هاريس مستيقظ وبجول في الأنحاء. ومررت لحظات شعرت فيها باضطراب في مشاعرها، فهي تريد أن تراه، ومتلهفة إلى ذلك، ومع ذلك تشعر بخجل ساحق تعجز معه عن

وعندما تأخرت في الجواب باحثة عن كلمات حبادية، قال: «مالون العزيزة، يجب أن تسامي جيداً. أنت لم تكوني قط في خطأ».

إذا كان يحاول أن يهدى من أي خاوف تملكتها، فهي لم تشكره لهذا، وكأنه يقول لها إنها لم تتوقف عن غزلهما، لفعل هو، وإنما أنه يقصد أنها لا تتمتع بأي جاذبية.

بكرياء يائسة، وجدت نفسها تقول بابتسامة عريضة، دون أن تهم أنها نزلت من غرفتها فقط لتجمعله يعلم أنها لا تهم مثقال ذرة لمصبه: «لا يأس إذن، ماذا تريدين أن أخبر السباك عنه؟».

تغيرات على اللقاء نظرة عليه، فخيل إليها أنها رأت لمحه إعجاب في عينيه لسلوكها لكنها لم تكن تتقن تماماً بمحبتها، فبقيت متمالكه نفسها حين أجاب: «أخبريه فقط بأننا، نتيجة إهماله، كدنا نقع في مشكلة».

اضطررت مالون إلى الضحك، وقد ظلت أن هذا ما أراده هاريس منها. ولكن في اللحظة التالية، فارقتها كل رغبة في الضحك لأنه كان يتناول حقتيه ومفاتيح سيارته.

ـ اتبه أثناء القيادة.

دفعتها كثراوتها إلى أن تودعه بهذه الكلمات، لكن جوابه أن عانقها بسرعة، مودعاً، ثم خرج.

لم تعرف مالون كم بقيت واقفة بعد ذهابه ويدعى على قلبها الذي راح يتخطى بين ضلوعها. أدركت أنها، وهي التي لم تجده أن تشوقت لصحبة أحد ما، شعرت بالآن بالوحدة.

تحملت عبء النهار، وصورة هاريس لا تكاد تغيب عن ذهنها. أليس من المفترض أن يكون الحب مصدر يرحة؟ افترضت أن هذا الكلام صحيح إذا كان الحب متبادلاً. لقد سخر القدر منها.

يوم الاثنين، أصلاح السباك الأعطال في الغرفتين. وأظل يوم الثلاثاء فجاء مهندس ليصل خط الهاتف فشكل ذلك مفاجأة حسنة. لم يكن هاريس

ل Kenneth أدركت أنها لا تستطيع أن تتفق متزدة حجل طوال النهار، جذبت نفساً عميقاً آخر، ثم انطلقت دون فكره عما ستصوله له. لقد كذبت عليه الليلة الماضية حين أخبرته بأنها لا تريده أن يعانتها مرة أخرى.. ولكن، ريا، كم كانت تريده أن يعانتها ويستمر في ذلك.. ألمتد آيفقط فيها الشوق إلى الحب. لو أنه رفض أن يصدق كذبتهما فهي لا تعرف ما كان سيحدث. لم تكن خائفة على الإطلاق.. إنها واثقة تماماً منه.

والآن كيف يجب أن تحييه؟ هل تحييه ببساطة نسمة الصباح؟ إن مازق مالون، بعد ذلك العناد الحميم الذي جرى بينهما الليلة الماضية، سرعان ما تبخر عندما دخلت المطبخ حجل من النظر إليه، وإذا بنتظرها تقع على حقيبة التي يعدها لعظة الأسبوع، على المائدة مع مفاتيح سيارته!

ـ كاد الخوف يعصف بها. كل شيء واضح. هاريس على وشك الرحيل.

ـ اندفعت تقول له دون تفكير: «لست بحاجة إلى الرحيل يسي».

ـ حالما صدرت عنها هذه الكلمات، ثنت لو تترجمها، لكن الوقت فات. ثنت لو عبرت وتحتني، لكن هاريس كان يرسم: «بيك؟».

ـ لكنها تدرك أنه فهم جيداً ما تعنيه، رغم أن الاختصار حال دون أن تعلم ما إذا كان يغتنمها. ولكن الفرز الذي دار بينهما ليلة أمس جعلها تقول بابتسامة عريضة: «إذا وعدتني بالألا تدخل أي غرفة، مرة أخرى، من دون أن تطرق ببابها أولاً، أعدك أنا بالألا أبخر مرة أخرى، هنا وهناك».

ـ بادلها الابتسم، ثم تلاذت ابتسامته وهو يسألها بجد بالغ: «هل ثمت جيداً؟ دون نتائج سلبية؟».

ـ لم تتم جيداً، ولكن ليس بسبب القلق أو الخوف. فما كانت خائفة منه الآن هو أن تفصح مشارعها نحوه.

أجابت باسمة.. لم تستطع أن تمنع نفسها من ذلك.

- هذا حسن.

وأحست أنه عل وشك إنتهاء المكالمة، فتلهفت إلى معرفة ما إذا كان سيحضر في العطلة القادمة، لكنها لم تستطع.

- كيف حال الطقس عندك؟

أتراءها ألت هذا السؤال؟ وهل هي مشوقة لإبقائه على الخط إلى حد أن سأله عن الجلو؟ وأجاب: «أظنك تمانون من موجة الحر التي تعانى منها هنا».

تكلفت المرح وهي تخبره: «الجز التجارون عملهم بشكل جيل جداً، أتريد أن تتحدث إلى بوب؟ أظنه تربى من هنا، يمكنني أن أذهب وأأخبره...».

- لا حاجة لذلك، ما دمت تنين وجود مشاكل وأنا واثق من أن هذا هو الواقع.

أجاب بذلك ثم أقفل الخط. وضع مولان السماعة وقد اعتز بها الشاعر للريكة إلى حد أنها شعرت، بأن عليها أن تكون وحدتها. فصعدت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها.
لم تأسد إن كان سيحضر في العطلة الأسبوعية؟ أو متى سيحضر؟ من المؤكد أنه سؤال طبيعي.

عندما استعادت تمالكها لنفسها، خرجت من المنزل لتتمشى، شاعرة بأن جبها لهاريس جعلها ضعيفة. إنها ضعيفة ولكن كرامتها منعتها من إظهار أي دليل على شعورها نحوه ولا ومضة سرور حتى. وما كان ذات يوم طبيعياً أصبح الآن موضع حذر لثلا تفضح نفسها.

عادت إلى المنزل، كانت تأمل في أن يحسن التزه مزاجها، لكنه لم يفعل. ولكن عندما نظرت من نافذة المطبخ وقت الغداء ورأت سيارة هاريس توقف لتوها، ارتفعت معنوياتها.

قد ذكر شيئاً عن تقدمه بطلب من الشركة.

استقلت مالون الهاتف تلك الليلة للإتصال بأمها وإعطائها رقم الهاتف مستعنة بحديث طويل معها. كانت أنها سعيدة للغاية، فألتج ذلك قلب مالون للمرة الأولى منذ وفاة والدها.

مررت الأيام التالية، ومع حلول الجمعة، شعرت مالون بمزاج من الاضطراب والتوقع. جاء هاريس يوم الجمعة الماضية، وربما سبأي هذا الأسبوع أيضاً.

وذهبت إلى سريرها، تلك الليلة، شاعرة بخيه أمل، فهو لم يتصل بها. وأنى الست مشرقاً ولازم مالون الشعور نفسه تقريباً. ربما يأتي هاريس اليوم

لكنه لم يأت أيضاً، ولا في اليوم التالي، وبقي الهاتف صامتاً طوال العطلة. عانت مالون كثيراً من آلام الشوق لرؤيه، إذ سكن تفكيرها باستمرار.

استحال الطقس الشمس إلى موجة حرارة، وابتدأت مالون تتطلع إلى العطلة، آملة أن يخفى الطقس لدى عجي هاريس جيداً. وقللها الثك في فضائه وقتاً طويلاً، خارج البيت.

عندما خرج العمال يوم الاثنين، أحضرت المكبة وأخذت تنظف غرفة الاستقبال لتنزيل عنها الغبار. ودخلت غرفة الجلوس باكراً صباح الثلاثاء، لتعطمئن إلى مظهر الغرفة، عندما سمعت زين الهاتف لأول مرة، فلتفرت من مكانها.

ذهبت لتعجب وقلبها يخفق، رغم أنها حدثت نفسها بأن المتصل قد يكون أمها. أجابت بصوت هادئ، فأأخذ قلبها يخفق بعنف حين عرفت صوت المتكلم.

سألها هاريس بهدوء: «هل تسير الأمور كما يجب؟».
ـ لم تحصل مشاكل.

أحد وجهها لنبيض ملائكة، وشعرت بالسرور لأن وصوله إلى المطب
سيستغرق دقيقة أو اثنين يمكنها، في أثناءها، أن تتمالك نفسها.
كيف ستحبها؟ مرحباً أيها الغريب؟ لا. اليوم ليس الجمعة أو السبت،
ليس كذلك؟ لا.

تبذلت أنكارها في الهواء عندما دخل هاريس حاملاً سترته بيده،
فما وقلبتها بعفون، لشدة ما تعبه: «ماذا تفعل هنا؟ لا أقول إنه لا
يمكنك الحضور فأنت صاحب البيت».

قالتها بمرح وأطلقت ضحكة صغيرة.
لم يضحك هاريس، ولا ابتسم حتى وهو يقول: «لدي مشكلة أود أن
آناقتها معك».

تلكلها الحذر على الفور. لقد أدركت أنه يطلب منها الرجل. لكنها
لا تريد أن ترحل، ليس الآن! ليس وهي تعلم أنها تحبه. هل هذا هو الأمر؟
هل أحس بحبها له؟ وهل لهذا قدم شخصاً يطلب منها الرجل؟ وسرعان
ما استجمعت كبراءتها، ربما يظن أنها تحبه، لكنها ستحرس على أن تحمله
يشك تماماً في ذلك.

ـ كنت على وشك أن أعد لك شطيرة وفتحان الفهوة، هل أنت
مستعجل؟

إياها لأداء وظيفة مؤقتة على كل حال. ستخبره بذلك. هل ينبغي أن
تخبره، أولاً أنها راحلة قبل أن يطلب منها الرجل؟ ربما عليها أن تفعل
ذلك.

ـ لا يأس بشطيرة.
أجابها باتزان، فاخترت الخبز والزبدة والجبن واللحوم.. ثم أعادت
التفكير. إنها غارقة في حبه، ولهذا، عليها ألا تتعجل. ربما لم يأت ليأمرها
بالرجل.

ـ ربما.. ولكن لماذا..؟

ـ أعدد طبقاً من الشطائر لهم، لكنها سرعان ما فقدت شهيتها.
عندما جلسا إلى المائدة، سأله: «ولأن، ما هي المشكلة؟ أرجو الآ
 تكون خطيرة».

وضع شطيرة في صحنه ثم نظر إليها: «إنها تتعلق بأختي فاي».

ـ تملكتها الارتياح. لا يبدو أن هاريس سيطلب منها الرجل. فردت
 بصوت هادئ: «أختك؟».

ـ اتصلت بي فاي بعد أن اتصلت بك بقليل. وبعد ذلك، خطر في بالي
 أنها قد تزورك إذا حدثت ومرة في الجوار.

لم تفهم مالون ما يعنيه. من الواضح أن فاي مستوجه إلى بيتها «المورا
لودج». ولكن هل يعني كلامه أنه لا يريد أن تعلم أخيه بوجود مالون في
«هاركورت هاوس»؟ أتراء، فعلاً، يطلب منها الرجل؟

جعلها عدم شعورها بالأمان عيشه بقولها: «أما كان بإمكانك أن تعود
 فتصلي بي وتحذّنني بالامر؟».

ـ فنظر إليها بجد: «الأمر ليس بهذه البساطة».

ـ ما هو الأمر يا ترى؟ ورباتك التحديق، وإذا بشيء يخطر في بالها فجأة:
 «ولماذا تأتي أختك إلى هنا لتراني؟».

ـ وتملكتها الانزعاج فجأة فهافت بخط شديد: «ترىدني أن أخبرها أي
 فاسق هو زوجها، هذا هو الأمر، أليس كذلك؟ حسناً، طبعاً لن أفعل!
 وشكراً لفكيرك السامي عنّي».

ـ وإذا بمشاعرها تهدى وهو يجيب: «ولأن ذكرني عنك سامية للنهاية
 فضلت أن أترك عملي وأتي إليك بتنفسي بدلاً من الاتصال بك».

ـ أواه يا هاريس! إن ذكرته عنها سامية للنهاية! و... وحاولت أن تفك
 بوضوح.

ـ إذن... ما... ما هي... المشكلة؟

ـ المشكلة هي أن أختي، رغم ذكائها، ما زالت مغفرة بذلك الخير

الذي تزوجته. حاولت أن أجعلها ترى الحقيقة، لكن الأمر أذلع فقط في غرس بذور العداوة بيننا. ولذا، اضطررت حالياً إلى اتخاذ موقف المخرج، العاجز عن القيام بشيء سوى أن أساعدها عندما تكون بحاجة إلى ذلك.

نكهنت مالون أن موقف المخرج هو ضد طبيعته، وشعرت بإعجاب كبير نحوه لأنه يقوم بذلك رغم حبه لأخته.

- وهل... تشعر أنها بحاجة إلى المساعدة الآن؟

- المشكلة هي أن فاي، التي تأمل في إنقاذ زواجهما، سمعت بأن لدى زوجها خليلة. وكانت على وشك الانهيار عندما اتصلت بي هذا الصباح وهي ت يريد أن تعلم لما خذلتها أنا بوضعي خليلة زوجها في بيتي.

وسكت فجأة، لكنه كان ينظر مباشرة في عيني مالون الجادتين وهو ينفي كلامه: «هنا».

فنهفت مالون وهي تفتح فمها ذاملة: «أنا؟ هل أخبرها هو... أنت كنت خليلته؟».

- أمر لا يصدق، أليس كذلك؟

نشهقت: «يا له من حيوان».

ثم تذكرت آخر مرة رأته فيها، فانفجرت تقول: «إنه ذنبي».

- أنت فعلت ذلك؟

فاندفعت تقول: «إنه يتقم مني. لقد رأيته...».

نقاطعها بحدة بالغة: «متى؟ متى رأيته؟ هل جاء إلى هنا مرة أخرى؟».

- لا... كان ذلك... البت الماضي.

- بعد أن قلت له يالا يأتي إلى هنا مرة أخرى؟

فأومات: «كنت أمشي، وتحديته لأنني لنقصي أنتي لست خائفة».

كان صوته أهداً، حين سألاها بلهف: «بماذا شعرت حين رأيته؟».

ابحست وردت: «لم أخف بل غضبت، وقلت له إنه يغيب، وإنه إذا

اقرب مني مرة أخرى سأشكره إلى الشرطة، وإنني لا أنزل من قدرني

بالحديث إلى أمثاله».

- هل قلت ذلك؟

سألها هاريس وقد خبأ إليها أنها ترى في عينيه إعجاباً. لكن هذا التعبير تغير وهو يسألها: «كيف كان تومك؟».

بما أن هاريس يحتل دوماً ذهنها لأنها تحبه، كان جوابها: «منذ ذلك الحين، لم يعاودني أي كابوس. لكن لنعد إلى الموضوع الأساسي، إذا زارتني اختك، فسأخبرها أنتي لست خليلة زوجها...».

نقاطعها: «لست مضطرة لذلك».

ولكن الغريب أنه سكت لحظة ثم عاد يقول: «القد سبق واقتنعتها بذلك».

في الأحوال العادية، كانت مالون مستقبل ذلك، أو ربما ستعلّق على نوة تأثيره على أخيه. لكن شيئاً ما... ربما في طريقة توقفه عن الكلام... في إحساسها المرهف نحوه... جعلها تسأله: «و... هل صدقتك؟ هكذا بكل بساطة؟».

كانت يتهدثان عن امرأة مغيرة بزوجها. هل ستصدقه فاي من دون برهان، خصوصاً وأن تلك الخليلة المزعومة تسكن على بعد أميال قلبها منه؟

وسأله: «كيف؟ كيف أقنعتها؟».

ادركت بالغريبة أن جوابه لن يعجبها. وكان إحساسها صادقاً، رغم تمييزه له بقوله: «كما سبق وقلت، كانت فاي على وشك الإصابة بنبوبة هisteria. الطريقة الوحيدة التي استطاعت التفكير فيها لتهذتها هو أن أقول لها إنك لست عشيقة... بل عشيقي أنا».

حدّقت مالون فيه مذهولة: «عشيقتك؟».

ثم انفجرت به: «هل قلت عشيقة؟ هل أخبرت اختك أنتي...».

لم تستطع أن تصدق ذلك، عادت تسأله والشرر يتطاير من عينيها: «بماذا حدّتها لكي تصدق؟».

قابل هاريس نظر لها بمحمود، لكن أجاب: «حاولت أن ألتزم بالحقيقة
قدر الإمكان».

فانفجرت بعدها: «آه، هذا واضح».

- كنت غلطناً، وأنا أعلم، لكنها كانت مبروحة. وقد اعتدت أنا على
الخفيف من آلامها لأجعلها تشعر بتحسن عندما تكون على شفير الانهيار.
أظنه عادة متأصلة في نفسي.

شعرت مالون بأنها ابتدأت تلين، فقوت نفسها. إنه فاحش! فما أخبر
به أخته هو فحش وشناعة فسالة بحدة: «وهكذا؟».

- أخبرتها أنك عملت مع قيلبيس بضعة أسابيع عندما كان خارج البلاد
معظم الوقت، وأنك تركته عندما عاد إلى البيت وحاول أن يغريك.
ـ حسناً، تابع كلامك.

تكلمت بحقه قتابع: «قتل لها إنتي كنت ماراً بساري، وعندما
وجدتك عرضت أن أوصلك إلى المحطة، ولكن قبل أن تصل إلى هناك
عرضت عليك العمل عندي هنا.. وهكذا.. سارت الأمور بيتنا».«
ـ وكأنني موسم أخرج مع أي كان..
ـ فقاطعها بحدة: «لست كذلك!».

ـ ليس تماماً!

صرخت به ثم منعها الغليان من أن تحافظ على هدوئها، فاندفعت
واقفة.. وكذلك هو. وعندما تواجهها، انفجرت قاتلة: «إذن، أدركت،
بعد اتصالك بي، أن أختك قد تأتي إلى النقطة لكي تتوصل إلى حل مع
زوجها، وقد يخطر في بالها أن تزورني. وبما أنك لن تستطيع احتمال الأمر،
سارعي إلى المجيء».

ـ أردت أن أخبرك بالأمر شخصياً.

ـ وفعلت!
ـ قالت هذا بحدة، ومنعها الغليان من متابعة الحديث، فأعلنت

غاضبة: «أنا ذاهبة لأنشى».«
وعند الباب نظرت إليه من فوق كتفها: «إذا كان لديك أدنى لياقة،
فأمال لأن تكون موجوداً عندما أعودا».

وأخذت تسير بسرعة، ولكن حرارة الجو أرغمتها بعد حس دقائق على
النهل. لا تزال غاضبة من هاريس، لماذا لم يخبر أخيه بالحقيقة؟ حسأ،
كانت فاي ثائرة الأعصاب. ولكن من يظن أن هاريس كوييليان سيخبر أخيه
 أنها خلبلته؟ حتى لو كانت أخيه مبروحة الفؤاد وبجاجة ماسة إلى معرفة أن
خلبلة زوجها لا تعيش في بيته؟

إن التفكير في ألم فاي أضعف عزيمة مالون. مسكنة فاي، كانت تأمل
أن تصالح مع زوجها.. نيلت مالون هذا الضعف من نفسها. أرادت أن
تبقي غاضبة، فحتى لو كان هاريس يهتم بأخته، إلا إن هذا لا يعطيه الحق في

أن يقول لها أموراً عائلة لمجرد تهدمتها وليشعرها بالتحسن.
سارت مالون مسافة ميل حين أدركت أنها أخذت تشعر بالهدوء.
أخذت تسأله عمما يجعلها تغلي غضباً بهذا الشكل؟ صحيح أنها لا تريد أن
تكون خلبلة، لكن هذا التدبير سيكون اسمياً. فهي تعلم أنها ليست
كذلك، وهو يعلم ذلك أيضاً، ولكنها قالت له إنها تأمل عند عودتها أن
يكون قد رحل.

حاولت مالون الأترى الجاذب المؤلم، فهذا بيته وربما كانه أن يأتي ويذهب
ساعة بشاء. ومع ذلك لم تطرده هي منه
استدارت عائدة إلى المنزل وهي غاضبة منه قليلاً. وبما لا تشعر نحوه
بأي مودة حالياً، إلا أنها تحب ذلك الرجل القاسي. إذا رحل، فالله وحده
يعلم متى سيعود.

كانت في طريقتها إلى البيت عندما تجاوزتها سيارة لم تعرفها مالون وعندما
وصلت إلى «هاركورت هاوس»، لم يهتم بها كثيراً، فهناك دوماً سيارات باعة
توقف في هذه الأتجاه. على أي حال، سيارة واحدة يهتم بها أن تراها وهي

موجودة في الباحة.

تنفست الصعداء.. لا بد أن هاريس سمعها قادمة فخرج فجأة من غرفة الاستقبال.

كانت تنوي أن تذهب إلى المطبخ دون أي كلمة، عندما ناداها هاريس.

- مسرو لعودتك، فلدينا زائرة.

توقفت مالون عن السير. تلك السيارة الجميلة المتوقفة في طريق المنزل، جدالها مع هاريس إضافة إلى الزائرة.. ابتدأ كل ذلك يعني لها شيئاً - ما أجمل هذا!

قالت بلهجة ساخرة، غير واثقة من مكان فاي.. ولكن إذا كان هاريس متظلاً بابتسامة، فعليه أن يتذكر طويلاً. تقدمت إليه، وسرّها أنه كان أذكي من أن يضع ذراعه حول كتفها وهو يراقتها إلى الداخل.

ووجدت امرأة طويلة سمرة تصفر هاريس بنحو عشر سنوات، تنظر إلى الباب عندما دخلها: «لا بد أنك مالون».

ورغم أنها حيتها باسمة، إلا أن مالون رأها حزينة ضعيفة. ما لم تكن خطئة، فإن الأحرار في عينيها يشير إلى أنها كانت تبكي.

قدمهما هاريس إلى بعضهما البعض، فابتسمت لها مالون بشاشة، قائلة: «مرحباً، آسفه لأنني لم أكن هنا لحظة وصولك. كنت أنتزع قليلاً».

قال هاريس: «بينما كنت أنا أفقد البنين».

- كان على أن أخبرك بأنني سامر.

قالت فاي معتذرة لمالون.. وترددت قليلاً ثم أضافت: «ربما تكهنت بأنني كنت ذاهبة لأرى زوجي».

- هذا ما ظننته.

لم تجد مالون فائدة في الادعاء. لكنها لم تشا أن تستمر أخت هاريس في الكلام عما كان مؤلماً لها للغاية. فسألتها: «هل أكلت شيئاً؟ يمكنني أن أحضر لك...».

فابتسمت فاي: «لا أستطيع أن أأكل شيئاً».

- ولكن يجب ألا تتعجل بالذهاب، أرجوك.

رأات مالون المرأة بحاجة ماسة إلى جرعة مهدئ للأعصاب.

- آه، هذا لطف منك. المكان يوحى بالسكون والسلام.

فقال هاريس: «يجب أن تحكش هنا قدر ما تثنين».

- هل أنت واثق؟

والتفت إلى مالون: «في الواقع، أشعر وكأنني شبه محظمة. لدى اجتماع في لندن غداً صباحاً، إلا أنني لا أمانع في أن أرتاح ليلة هنا. هل يناسبك، يا مالون؟ لقد قال هاريس إنه جهز غرفتين صالحتين للسكن رغم قلة أناهما وحاجتهما إلى الدهان».

أخذت مالون تفكير بسرعة في إعطائها فرقة هاريس، عندما أجاب عن سؤال أخيه: «طبعاً لم لا تبقى. ستتمكن، بذلك، من التعرف إلى بعضكم. أليس كذلك يا مالون؟».

- يسري جداً أن أنعم بصحبتك.

طمأنها مالون، مدركة أن لا خيار لها ما دامت فاي تعلم بعملها السابق مع زوجها فيليس، و(علاقتها) بهاريس. ونظر هاريس إلى ساعته ثم قال: «علي أن أعود إلى لندن».

نهضت أخته معتبرة: «آه، لا يمكنك».

سألها مداعياً: «لا يمكنك؟».

- لقد جئت لتكون مع مالون، سأشعر بالكدر إذا ما عدت إلى لندن

بسبي. يمكنني أن أنام في الفرقة الأخرى، أليس كذلك يا مالون؟ ثم ..

وسمكت. بدت المرأة على وشك البكاء مرة أخرى فلم تحتمل مالون

الوضع، لأنها رأت أن فاي أحضرت معها حقيبة صغيرة لقضاء ليلة واحدة

في «المورا الودج». فقالت بشاشة: «يمكنك بكل تأكيد».

ونظرت إلى هاريس، متوقعة منه أن يلعن برفق، على أن لديه عملاً في

لندن لا يحتمل الإرجاء.

لكنها ذهلت حين سمعته يقول: «لا يمكننا أن ندع فاي يتسلكها هذا الشعور، أليس كذلك يا مالون؟ على الأمور المالية في لندن أن تنتظر».

كانت مالون تحدق فيه دون أن تفهم، عندما قالت فاي إن الفرقة لا بد غير جاهزة ما داما يجهلان أنها قادمة، وأخذت تصر على أن ترب السرير ب نفسها. عندئذ فقط، ثبّتت مالون أن الغرف الأخرى في المنزل ما زالت غير صالحة للسكن.

كادت تلعن على فاي بأن تناول في غرفة الضيوف أي غرفتها، وإذا بها تدرك، بعقلة، أن هناك سريراً واحداً آخر في البيت! التقت عيناهما بعيني هاريس، وأدركت من الطريقة التي يادلها بها النظر، أنه هو أيضاً لم يجب حساب تقسيم سريرين على ثلاثة أشخاص. فقالت: «لا يمكن أن أجعلك تقومين بذلك».

ووجدت نفسها تحجب بذلك على إصرار فاي على ترتيب سريرها بنفسها، وهي تدرك تماماً أن فاي تظن أنها ينامان في غرفة واحدة. انتظرت من هاريس أن يتدخل، وعندما لم يفعل، بدأت تغضب. لكن مالون كانت تعلم أن أفضل طريقة لإقناع فاي بأنها ليست خليلة زوجها، هي يجعلها تعتقد أنها، هي وهاريس، ينامان في سرير واحد، لذا جاهدت لتكتب غضبها وتقول: «بما أنني اتصبب عرقاً لأنني كنت أتنزّه، فلا أمانع إذا ذهب أحدكم إلى السوق بدلاً مني».

ردت فاي على الفور: «أنا سأذهب».

ولكن، قبل أن تفكّر مالون في ما ستقوله للسيد هاريس كوبيليان عندما يصبحان بمفردّهما، بادر هو إلى الذهاب مع أخيه إلى المدينة، قائلاً لمالون: «من الأفضل أن تعطيتي قائمة بالمشتريات».

يجب أن تعطيه ضربة على رأسه! كتبت القائمة ثم ناولته إياها. فرأى البند الأول ولوي شفتيه، لأنه كان يتضمّن عبارة (أكرهك).

وعندما توجهت فاي نحو الباب، تقدم هاريس من مالون ومسن في ذهابه: «أنعدتني بأن تكون هنا عندما نعود؟».

ارتجفت في داخلها لقبضة يديه القوية وأتفاسه الحارة على خدّها، لكنها صرّت على أستاذها وهي تقول له بصوت خافت: «لا تحاول إغراني بالذهب».

وعندما تراجع، ابتسمت لفاي تودّعها.

بعد ذهابهما، وفقت للحظة واعتبرت بأن الأمر يغريها بالرجل، لأن ذلك الغول الرهيب كوبيليان يستحق ذلك. ولكن ليس لديها مكان آخر تذهب إليه إلا إذا أرادت اللجوء إلى أمها وزوجها، كما أنها تحب ذلك الغول الرهيب.

تركت غرفة الجلوس وصعدت إلى غرفتي النوم لتفحصهما. لم يكن لديها نية في مشاركته الغرفة.. إنها لا تستطيع ذلك. تذكرت تجاوبيها معه يوم السبت، لا، مستحبـلـ، إنها لن تفعلـ لا تستطيعـ. إذا عانقها ثانية... كفـ! وماذا سيعانقها؟ تمالكـ نفسهاـ وابتداـتـ مـالـونـ تـجـهـيزـ الغـرـفـتينـ. لكنـ، حتىـ وهيـ تـعـملـ، كانتـ تـعـلـمـ أنهاـ لنـ تـقـدـمـ علىـ مـاـشـارـكـتـهـ الغـرـفـةـ. كانتـ أخـتهـ هـشـةـ، لـكـنـهاـ تـبـدوـ هـادـةـ بـشـكـلـ مـقـبـولـ.. حـنـاـ، لـبـتـ مـهـارـةـ الأـعـصـابـ كـمـاـ قـالـ هـارـيسـ. رـيـمـاـ كـانـتـ كـذـلـكـ جـنـ حـيـنـ اـتـصـلـ بـهـ هـافـيـاـ. بـماـ أـنـهـاـ فيـ الـخـارـجـ الـآنـ، فـقـدـ يـخـرـ فـايـ الـحـقـيقـةـ. رـيـمـاـ سـيـخـرـهاـ أـنـهـاـ بـرـدـ وـكـيـلـهـ وـلـاشـيـ «ـأـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ».

لكنـ فـايـ كـانـتـ تـنـاـلـ، تـنـاـلـ كـثـيرـاـ. ماـ العـمـلـ لـتـقـنـعـهاـ بـأـنـهاـ تـلـقـتـ مـهـاـ المسـاعـدةـ، وـأـنـهـ لـاـ يـأـوـيـ خـلـيلـ زـوـجـهاـ..؟ـ ماـ هـيـ أـفـضلـ طـرـيـقـ لـإـقـاعـهـاـ بـأـنـ..

نقلـتـ مـالـونـ أدـوـاتـ زـيـتهاـ، مـعـ أـثـيـانـهـاـ الـأـخـرـىـ، مـنـ حـامـهاـ وـغـرـفـتهاـ إلىـ حـامـ وـغـرـفـةـ هـارـيسـ، تـارـكـةـ أـشـيـاءـ فيـ الخـزانـةـ وـالـأـدـراجـ يـمـكـنـ تـسـيرـ وجودـهـاـ بـأـنـهاـ وـضـعـتـهاـ مـؤـقاـعاـ باـتـظـارـ إـثـامـ تـجـهـيزـ الغـرـفـتينـ.

الصقراء: «قال هاريس إنك تخين الأزهار».
 - شكرآ، ما أجلها!
 هتفت مالون وهي تأخذها منها، وانتظرت... لا شيء بعد:
 «حضرت الشاي».
 - هل أحضر حتى أولاً؟
 يداً مالون أن المرأة المسكينة كانت متربدة بشأن قضائهما الليل مع زوجها في «الورا الودج».
 وعندما خرجت فاي، سألت مالون هاريس: «هل أخبرها؟».
 - أخبرتها بماذا؟
 - بالحقيقة عن...
 - عن فليبيس؟ عن أن زوجها، الذي سلب عقلها حاول اغتصابك، والله وحده يعلم ما كان سيحصل لو أنك لم تعربي؟ أنت ترين حالتها الآن، ماذا سبب حصل لها برأيك لو عرفت؟
 شدد غضب مالون، وسألت هاريس رافضة الهزيمة: «الآن نظن أن لديها فكرة عما يمكنه أن يفعل؟».
 - أشك في ذلك. لكنها سمعت عنه مؤخرًا ما فيه الكفاية. وقد فعلت أنا ما يوسمى... وعليها الآن أن تغريب كل شيء على مهل.
 - ستفعل، لديك عقل راجع، وستدرك أنها كانت عمباء بالنسبة إلى فليبيس.
 نظر هاريس إلى مالون بجد، ثم تابع يقول: «كذلك، أنا وفاي، نصح عدوين. لم تستمع إلى عندما أخبرتها ببعض الحقائق عنه. ومنذ ذلك الحين، اضطررت إلى كبح شعوري إزاءه لأن...».
 - لأنك تريدها أن تعلم بأنك موجود لساندتها عندما تدرك أخيراً الحقيقة.

فرشت السريرين بملاءات نظيفة، بينما ازدادت ثقها بأن هاريس سيمكن من إعطاء تفسير وجيه للناري وهو في الخارج. ابتدا الشك يتسلل إلى نفسها وهي تفك في أنه إذا حصل الأسوأ وأضطررت إلى مشاطرة هاريس غرفته، فيمكنه أن يفرض غطاء السرير على الأرض ليتام عليه. لكنها سرعان ما نبذلت هذه الفكرة، فلن يصل الأمر إلى هذا الحال. وبالرغم من أن فاي تعيبة وأن هاريس يبذل جهده في مراعاتها والاهتمام بها، إلا أن مالون كانت تزداد ثقة بأنه سيخبرها الحقيقة، ربما سيفضحون جميعاً للأمر قبل أن يعود إلى لندن. أخذت مالون تفكير في ذلك وهي تستحم. في حمام هاريس، أغلقت الباب عليها. وابتسمت ل نفسها لعلها أن لا ضرورة لقلقها منه. في الواقع، كانت والدة من أنه لم يعد هناك ما تقلق بشأنه، لذا سبباً بإعادة كل شيء إلى غرفتها. وعندما انتهت من ارتداء ملابس نظيفة، تذكرت أن كيفين تعود أن يأتي إلى المطبخ في مثل هذا الوقت لشرب فنجان شاي. هنّت أن تطلب منه إعداد فنجانه بنفسه، لكنه كان شاياً خدوماً ومستعداً لأخذه بسيارته إلى أي مكان تريده. وهكذا، بدلاً من إعادة حاجياتها إلى غرفتها، نزلت إلى المطبخ لتحضير لكيفين فنجان شاي. كان الشاي قد جهز للتو عندما مرت سيارة هاريس أمام نافذة المطبخ، فأعلن كيفين: «ها قد جاء الرئيس. سأخذ الشاي إلى الخارج ثم أذهب لفقد الجبار. أتريدين أن أحضر لك شيئاً معي؟».
 - ليس اليوم.
 أجابه بابتسامة، وكانت تصب له فنجان الشاي عندما دخل هاريس وأرخته حاملين أكياس السوق.
 نظرت مالون إلى هاريس وفاي، فلم يبدُ عليهما أن الحقيقة اكتشفت الآن... وانتظرت.
 قالت لها فاي بابتسامة مصطنعة وهي تناولها باقة جبلة من الأزهار

- آه، يا مالون... أنت متفهمة.
عنت بذلك، فنيست تماماً لماذا كانت غاضبة منه، وأنها كانت غاضبة منه
أصلاً. وأضاف برقه: «في الواقع، بقدر ما تتمتعين خارجياً بجمال رائع،
لديك جمال داخلي يقتضي مرة بعد أخرى».

حدقت مالون فيه وقلبتها بخفة بسرعة. هل يظنها كذلك حقاً؟ شعرت
بركتها واهتمامها، لكنها سرعان ما أدركت أن فكرة حبه لها لا تزال بعيدة
عنها أبداً.

إذا كانت لا تريده أن يعلم وقع كلماته عليها، فعليها أن تظاهر
بالحدة: «وأين مت남 اللبلة إذن؟».

نظر إليها ما زاد في غبظتها، وبدلًا من أن يبدو عليه الهمود، لاح في
عينيه الهرل وهو يقول: «مالون... أنت لا تريدينني أن أنام في سيارتي،
ليس كذلك؟».

قالت بأعلى إبتسامة لديها وأعلذ صوت: «طبعاً لا».
ثم تبددت تلك الحلاوة وقالت بحدة: «لأنني أفضل أن ننام في
المجاري».

انفجر ضاحكاً، وفي هذه اللحظة دخلت أخيه. نقلت مالون اهتمامها
إلى فاي: «غرفتك جاهزة، وسأصمد معك، إذا شئت، بينما يترنح هاريس
أكياس المشتريات».

رغم كل ما حدث، كان العشاء تلك الليلة لذيداً. وجدت مالون أن
فترة العشاء مررت من دون توتر لأنهم، هم الثلاثة، حرموا على تجنب
ذلك.

كانت تعلم أنها تقوم بجهد، فتعاطفها مع فاي جعلها تكتب قلقها
لأضطرارها إلى تقاسم غرفة هاريس. لقد فتحت عينها عن بديل وووجدت في
الواقع الكثير، كاريكة الاستقبال، مفرش السرير أو إحدى الغرف، حتى
فكترت في وضع الغطاء على أرض الحمام... ونظراً لطول هاريس، لم تستطع

احتمال أن تجعله يعاني من ذلك.
كانت فاي أيضاً تبذل جهدها، فثرثرت بيشاشة، مت讧اوية، بوجه
شرق، مع حديث هاريس الحبوبي. وإذا غامت عينها أحياناً في لحظة
شروع، وبيان عليها تحطم القلب والضعف، فسرعان ما كانت تعود لتمالك
نفسها وللتباشير إلى مكانها فتعمد إلى بشاشتها وتالقها السابقين.
اما هاريس، فأقرت مالون أن وجوده على المائدة متميز، فهو حاضر
الذهن. وهكذا، مع انتهاء العشاء، كانت مالون قد نجحت قلقها جانباً
بشكل مؤقت.

عاد ذلك القلق بعد أن انتهاء العشاء وأصبحت الأطباق المستعملة في آلة
غسل الأواني. انتقلت الثلاثة إلى غرفة الاستقبال لشاهدة برامح التلفزيون،
ولكن بدا أن ذهن فاي مشغول عن الشاشة الصغيرة. فقالت وهي تنفس:
«سأخذ إلى النوم مالم يكن لديكما مانع، على أن استيقظ باكرأ في الصباح».
فقالت مالون: «أتريددين شراباً ساخناً تأخذيه معك؟».

- لا، أشكوك لذلك.
واغتصبت فاي ابتسامة: «ما دمت سأستيقظ باكرأ، سأحضر لكما

فتحاني قهوة إلى غرفتكما قبل أن أذهب».

وبينما نوت مالون أن تستيقظ قبل الطيور عند الصباح، ثنت فاي لهما
ليلة سعيدة ثم خرجت صاعدة إلى غرفتها.

كانت مالون تعلم أنها لن تستطيع الاستمرار في مراقبة التلفزيون. وبعد
خمس دقائق تخلت عن الناظر بالتركيز على البرنامج، والتمنت إلى هاريس،
وإذا بها تتجده يراقبها هي وليس التلفزيون.

وقف بصمت ثم أطفأ الجهاز وراح ينظر إليها: «ستكونين بخير معـي،

يا مالون».

لقد كشف عن قلقها الذي يغلي في داخلها. فانفجرت تقول: «وهل أنا
مضطرة إلى ذلك؟ أعني، هل من الضروري أن... أن تشاركني غرفتي؟».

- هل لديك بدليل آخر؟
أجابها متعجلاً واقع أنها هي التي تشاركه غرفته التي يشغلها كلما جاء إلى بيته.

- يبدو أنك لا تملك حلًا.
أجابه، مدركة أنه يبحث مثلها في كل الاحتمالات للعثور على حل لا يكتنر أخته التي عانت بما فيه الكفاية. وقال بحرارة: «كنت مقعممة بالطيبة وبيدو أن اضطرارك لمشاركة السرير هو المشكلة...»

فهبت واقفة: «كفى يا هاريس. من قال إنني سأشاررك سريرك؟
يمكنك أن تأخذ غطاء السرير، فقد يساعدك على التخفيف من صلابة الأرض». شعرت بسرور وهي تقول له هذا الكلام. لكن شعورها الضليل بالانتصار لم يبر النور. أقل ما كانت تتمناه منه هو تكثيرة، ولكن ما حصلت عليه هو ضحكة: «يا للقناة، أنت قاسية القلب».

ولكن، عندما اقترب منها ونظر في عينيها الجميلتين لم يكن يتسم وهو يطمئنها جاداً: «أنت في أمان معي، يا مالون. أنا لست مثل فيليس، أو صديفك السابق، أو أي رجل آخر من معارفك».

كانت تعلم ذلك ولكنها قالت بحده: «ما زال عليك أن تنام على الأرض».

ثم رأت أنه من الأفضل أن تصعد قاي وتصعد إلى غرفتها، فالفت عليه تحية المساء لم تخرجت بسرعة من دون أن تسمع جوابه.

في غرفته، التي كانت هذه الليلة غرفتها، استحمت بسرعة وارتدى قميص النوم. الفلت بغطاء السرير على الأرض، ولما رأت أنه تكؤم بغير انتظام، حثتها ضميرها على أن تقدم وتبسطه على الأرض فمسدته بيديها.

كانت الأرض بصلابة الصخرا حتى عندما وضع تحته بساطاً، لم يتغير الوضع كثيراً. قشت قلبها الرقيق فهو لن ينام معها في السرير نفسه.

بعد أن وضعت وسادة على الأرض، صعدت إلى السرير، لتنقطلي بملاعة واحدة في تلك الليلة الحارة. في الواحدة صباحاً، كانت مستيقظة لتأكد من أن هاريس لن يشاركها السرير، ولكنه لم يكن قد حضر. عندما ابتدأت تعتقد أنه قرر أن ينام على الأرضية في غرفة الاستقبال، ليخبر قاي بعدها أنها خاصها أو ما شابه.. تناهى إليها صوت هاريس في الغرفة.

كان ضوء القمر يتألق في الغرفة، ومع هذا، أضفت مالون عينيها مركزه على أن يبدو تنفسها متنظمًا. كانت شديدة الإحساس بتحركاته الرشيق في أنحاء الغرفة، وسررت عندما تبيّن لها رأى (فرانشة الأرضي) دون أن يصطدم بشيء.

- تصبحين على خير.

قال لها ليعلمهما أنه يدرك أنها مستيقظة، فلم تجب، لكنها نامت والابتسامة على وجهها.

استيقظت شاهرة بالبرد. نظرت إلى الساعة فرأيت أنها الثالثة عشر دقائق. نظرت إلى مكان هاريس. كانت تشعر بالبرد.. وهو لديه الغطاء، سمعته ي Tremble ، وتكلمت بأن الأرض أصبحت أكثر صلابة.

بعد ذلك بعشرين دقيقة، راح ي Tremble ، فادركت أنه لم يكن نائماً. باتت قريبة من التجمد. وتساءلت إن كان هو أيضاً يشعر بالبرد.

- أعطني وسادتك.

تكلمت بهدوء خوفاً من أن يكون نائماً. ولكن، بعد لحظة استترت وسادته قربها. نزلت من السرير ثم وضعت الوسادة في الناحية السفلية من السرير، ونامت تحت الملاءة.

ابتلمت ريقها، لقد خاتتها شجاعتها، ثم ارتجعت وقررت عقلها أن الأمر كله زيف وكذب... فهي تلقى به ثماماً. وقالت بصوت متخفض كيلا توغل قاي المكينة التي قد تكون ثالمة: «ضع وسادتك في أسفل السرير إذا ثشت

أن تشارك الغطاء».

سمعته يتحرك، ثم وضع الغطاء فوقها. وعندما أوشكت أن تغير رأيها، حذرها هاريس بصوت متعدد: «إذا وضعت على إصبعاً واحداً، يا مالون، فسأقيم البيت وأقعده بالصراخ!».

ماذا يمكنها أن تفعل؟ خفت ضحكتها وقالت بصوت كالفحجع: «فوق الملاعة».

- اعتذر لسيادتك.

وامتثل مطاعماً.

إنها تحبه. أخذ شعورها بالبرد يخلف، فنامت. واستيقظت بمحفلة لتجد أن الناجر قد بزغ وأن شبين متزامنين قد أيقظاها. الأول هو صوت قرقعة فناجين والثاني شعورها بهاريس يدخل تحت الملاعة.. وليس أسفل السرير حيث ينبغي أن يكون.

- إنزل ...

وسرعان ما غلطت يده فمها لسكنها. أخذت تلوي بعنق لتبتعد عنه، وهي بسرعة: «فاي عند الباب ومعها صبة الشاي».

ناوحت ساخرة بعجز بينما أبعد يده. لكنها، لم تتعذر أن يراها أحد في الفراش مع رجل، لذا دست رأسها تحت الغطاء عندما دقت فاي الباب بلطف ودخلت.

- أنا نادلة سبعة.

قالت فاي ضاحكة ثعثورة، لكن مالون لم تسمع جوابه.. فقد تحول انتباها فجأة إلى مكان آخر عندما وضعت يدها على صدره وكأنها تدفعه عنها.

- هل ستكونين على ما يرام؟

سمعته يسأل أخنه، لكن مالون لم تسمع رد فاي هذه المرة. ولسب ما، وجدت أصابعها تحثك بصدره. وإذا بها تشعر ببرطبة عنيفة في أن تدنو منه

لباخذها بين ذراعيه. لكنها لن تفعل هذا، خصوصاً أن فاي في الغرفة.

بدا الأمر وكأن فكرة شيطانية قد استحوذت على مالون. على كل حال، لم يكن لها بد في هذا الوضع.

كانت مستترقة في أحلامها فصدرت عنها شهقة عندما انكشف الغطاء عن رأسها فجأة، وسمعت صوت هاريس يقول بهدوء: «ماذا تفعلين؟». وانقض ذلك الشعور الشيطاني الذي تحكمها، فسألته وهي ترتعش: «أين.. أين فاي؟».

- أصبحت الآن في طريقها إلى لندن.

- آه، آه.. آسفة.

كان هاريس مستلقياً يحدق إليها فقال وكأنه قرأ آذكارها: «وما هو شعورك لو خرّشت أنا بك؟». وعندما التهّب وجهها وأخذ نبضها يتّساع، قال متعثراً: «آسف، لم أستطع مقاومة ذلك. من الأفضل أن ينهض أحدهنا».

قفز الاثنان من السرير في الوقت نفسه.. فاصطدمتا ببعضهما. صرخت لكنها لم تكن صرخة ذعر، رغم أنها افترضت أنه حب ذلك لأن هاريس أخذ يهدّتها قاتلاً: «ههههه.. أنت بخير».

أخذ يبتعد عنها فرفعت مالون نظرها إليه وإذا بشعور غريب يتملكها. فقالت له صادقة: «أنا لست قلقة».

- أنت رائعة.

قالها باسماً ثم تراجع قليلاً. وعندما نوت التراجع هي أيضاً، كان الأوان قد فات.

كان عناقًا غنثراً. وتراجع الاثنان، وهو بعد قدان في بعضهما البعض.

ولم تشعر ب نفسها إلا وهي تتقدم نحوه، وإذا بها بين ذراعيه حيث لطالما ثارت أن تكون. لم تستطع أن عنّع نفسها من أن تحبيه بذراعيها، وعندما احتضنها، ازدادت اقتزاماً منه، وشعرت به يدفن رأسه في عنقها، وشعرها.

كانت تُغَيِّبُ، والحب يملاها بالأشواق وهي تلامس بيديها الرقيقين،
كتفيه العريضتين. عانقها مرة أخرى، وهو ينتمم: «أنت رقيقة للغاية».
وتعلّكتها البهجة بكلماته ولقيه منها،
وعندما تراجع لينظر في عينيها، لم تستطع إلا أن تبكي.

آه، يا حبيبي... فكرت في ذلك والبهجة تغمرها.
عندما قبل دعوتها الصامتة وانحنى ليعانقها مرة أخرى، شعرت بيديه
تضمامها بقوّة.
تاوَهَتْ مبتهجة، وعانقته وجذبته إليها. بات عنقه أكثر عظمة. شعرت
بيديه تلمسان شعرها فابتسمت وقلبتها بخفق... إنها تحبه وهذا كل ما يهم.
عندها، شدّها إلى صدره وهو ينتمم، ملامساً ملامعاً وجهها: «يا
حلوٍ مالون».

شعرت بيهجة فائقة وتسرّعت خفتات قلبها. أرادت أن تعبر عن
حبها، فهي تحبه كثيراً وقد ازداد حبه لها مع الأيام.
ـ هاريس.

نطقت باسمه بصوت أحش، شاعرة باللحجل فجأة.
ـ مالون؟
استجابة للسؤال الصامت في صوتها.
ـ أنا.

ثم ابتسمت وهي تقول: «أظنتني بحاجة إلى بعض الوقت».
وعلى الفور، ثمنت لو أنها لم تقل هذا. لأن هاريس نظر في عينيها، وألى
شعرها الأشقر وخلصلاته الكثنة المحيطة بوجهها، وإذا به يحمد فجأة، ويحوّل
نظراته عنها، متأنّها بلهجة معدية.

سألته بارتياخ بالغ: «ما الذي قلته لك؟».
لكن هاريس تركها، دافناً وجهه بين يديه، وهو يتأوه: «قلت إنك
ستكونين معي آمنة».

ـ لكنها لم تشا الأمان: «هذا».
ـ مالون، لا تتكلمي... فقط أذهي لي خدمة، وابتعدي عنـي... الآن.
قال بصوت متخفّض وهو يصر على أستائه.
ـ أتربيـلي أن أخرج...
ـ الآـن!
ـ كرر ذلك بالـلـاحـاحـ، لـكـتهاـ لمـ تـشـأـ انـ تـخـرـجـ.
ـ وـ اـنـضـحـتـ لـهـاـ الحـقـيقـةـ...ـ الـحـقـيقـةـ الـبارـادـةـ،ـ الـتيـ لمـ تـشـأـ انـ تـواـجـهـهـاـ.
ـ فـهـارـيسـ لـاـ يـعـبـهـاـ.ـ وـهـوـ لـمـ يـتـظـاهـرـ قـطـ بـعـبـهـاـ،ـ لـأـنـ كـلـ الـحـبـ كـانـ مـنـ جـهـهـاـ.
ـ عـادـ بـتوـسـلـ إـلـيـهاـ:ـ (أـرجـوكـ،ـ يـاـ مـالـونـ،ـ اـذـهـيـ الـآنـ!)ـ.
ـ جـذـبـتـ مـالـونـ نـفـساـ مـرـجـفـاـ فـهـيـ لـاـ تـرـيدـ أـنـ تـذـهـبـ،ـ لـكـنـ هـارـيسـ يـرـيدـهـاـ.
ـ أـنـ تـذـهـبـ.ـ إـنـهـ لـاـ يـعـبـهـاـ.ـ جـرـتـ نـفـسـهـاـ بـعـدـهـ وـهـيـ تـقـولـ بـصـوـتـ أـبـعـدـ.
ـ (اعـتـبـرـ الـأـمـرـ قـدـ اـنـتـهـيـ).ـ
ـ ثـمـ هـرـبـتـ.ـ دـخـلـتـ غـرـفـتهاـ وـرـأـسـهاـ يـدـورـ.ـ كـانـ تـعـلـمـ أـنـ يـاـمـكـاـبـاـهـ أـنـ
ـ تـقـيـهـ،ـ وـلـكـنـ مـاـ هـرـزـهـاـ فـيـ الـأـعـمـاقـ،ـ أـنـ أـحـدـاـ لـمـ يـعـبـرـهـاـ أـنـ عـلـيـهـاـ أـلـأـ تـقـيـهـ.
ـ بـنـسـهـاـ

تملكها الذعر من أن يكون هاريس قد رحل، غير أنها لم تسمع سيارته!
فأسرعت ببط السلم إلى المطبخ. كانت سيارته في الخارج... وكذلك هو.
ربما، ما زال الوقت مبكراً، لكنه على وشك الرحيل.
ازدردت مالون ريقها بصعوبة. إنها متلهفة إلى الخروج لرؤيته. بإمكانها
أن تخبره بأنها راحلة. لكنها شعرت فجأة بأنها مسلولة، لأنه كان عائداً إلى
الداخل.

شعرت بلهفة إلى الاختباء ولكنها توق للاتصال به. عندما دخل
المطبخ كانت ملائمه رزينة. وعندما نظر إليها، ابسم فجأة وسألها: «هل
أنت على ما يرام يا مالون؟».

ذكرت بأنها عطية تماماً، لكنها أجابت بি�شاشة: «باتم خير».
واعتزاها اضطراب بالغ، حتى قبل أن يتبع هاريس حديثه: «أنت
تعلمين أن... ترتيب البارحة لم يكن مفروضاً به أن ينتهي على هذا
الشكل...».

وسكت فجأة، وبدلتها أن هاريس الواثق عادة من كل شيء، بات
 مضطراً للتقبيش عن الكلمات المناسبة ثم قال فجأة وقد تلاشت ابتسامته:
«هل أذيتك؟».

أوه، يا هاريس! رق قلبها لحساسيته المفرطة، ثم قالت تعطمته: «ولا
مشقال ذرة! ما عادا...».

ـ ما عادا ماذا؟

وأخذت عيناه تتفحصان وجهها ببراعة.

ـ عدا عن أنك أعدت إيماني بالرجال.

قالت هذا شاهرة بأنها مديبة له، فنهض بدهشة: «أنا فعلت هذا؟».
لم تتألم تذكر الفرز الذي دار بينهما. وفي الواقع، لو أنها سُئلت،
لأجابت بأنها ستهرب أبداً بدلاً من القيام بذلك. لكنها كانت تعرف
حسابية هاريس، وبدلتها، حيث إنها، أنه كان يلوم نفسه لما حدث بينما هي

٧ - العذاب إذا ابتسم

كانت تلك الجملة تهز كيانها وهي تسحّم، محاولة أن تمالك اتزانها.
(إمكانتها أن تلقى به ولكن ليس بإمكانها أن تلقى بنفسها) آه يا هاريس...
هاريس، ماذا فعلت؟

كانت مالون تحاول أن تتماسك، بعد أن أنهت حمامها وارتدى ثيابها،
وأصبح عليها أن تواجه الحقيقة البغيضة... لقد حان وقت الرحيل،
ولكنها لم تعد تريده أن ترحل.

كانت تعلم أنها كانت في حالة سبعة، لدى قدوتها إلى هذا المنزل،
وبيدو أن رولاند فيليس تعود تخطيم النساء... لكنها الآن يخبر، وعليها أن
تشكر هاريس لذلك. لقد اخترع عملاً لتلك التعبية المرغبة بالأحوال التي
رأها تثير تحت المطر المنهمر، وابتدأت معه رحلة علاجها.
حسناً، لقد جعلت «هاركورت هاوس» مكاناً صالحًا للعيش فيه. لكن
بقاءها هنا ليس ضروريًا، فإذا حضر الآلات أو أي شيء آخر، هناك دوماً
العمال الذين يمكنهم أن يتسلّموا المهمة. شادرت مالون غرفتها يقلب حزين
بعد أن تأخرت فيها قدر الإمكان. تملكتها الكثير من المشاعر المختلطة
بالنسبة إلى لقاء هاريس مرة أخرى. وبعد ذلك، يمكنها أن ترحل فلا ترآه
ثانية، لكنها متلهفة إلى رؤيته الآن ولو مرة واحدة.

تعلم جيداً أن تأديها معه عاد عليها بالتفع.

تنفست بعمق لتشجع نفسها، ثم قالت له بصرامة: «أنت علمتني هذا الصباح أن الرجال ليسوا مثل زوج أمي وابنه أو حتى كبت مورغان أو رولاند فيلبيس ...».

ـ آه يا مالون، هل يعني ذلك أنك تثقبين بي حقاً؟
ـ طبعاً.

أجابت دون تردد ثم ابسمت، ولكن رغم صراحتها معه، لم تخبره بالحقيقة التي اكتشفتها... وهي أنها لم تعد تثق بنفسها. ثم قالت مقررة: «الذنب ذنبي رغم أنني كنت أتمنى أن استيقظ متمنة باكرآ».

ـ وكذلك أنا. يقع اللوم إذن على الساعات الارقة التي سبقت ذلك، فلولا قرعة فناجين الشاي، لكنت نائماً حتى الآن. لذا، لا يمكنني أن أعبر لك عن مبلغ ندمي لأنني... تجاوزت الحد.

أرادت أن تقول شيئاً مرحأ، ولكن الكلمات التصقت في حلقها، وهكذا جذبت نفسها عميقاً لتجربة بما تريده: «هاريس، أنا...».

لم تقل أكثر من ذلك لأنه، كما لو أنه تكهنت بما تحاول أن تقول، قاطعها: «وهل هذا مهم؟».

ـ بـ؟

ـ أن تفكري في أن تتركي بي؟

ـ آه، هاريس! كانت تعلم أنها ضعيفة. حتى وهي تعلم أنه لم يكن بإمكانه لها بل عن تركها الخدمة، كانت مالون تصفي إلى قلبها وليس إلى عقلها.

فأجابته بمرح: «أي نوع من الفتيات تعتبرني؟».

ـ هل ستثقبين؟

ـ طبعاً.

بدأ عليه الارتياح: «جيد».

بدا وكأنه سيتقدم ليقبل وجهتها، لكنه غير رأيه وقال: «من الأفضل أن أنصرف».

ومنحها ابتسامة حارة ثم استدار.

وعندما خرج، غالقت على كرسي المطبخ. كانت ضعيفة حزينة، كان عليها أن تخبره بأنها لن تبقى هنا، لكنها تحبه، وبيدو أن ذلك جردها من نوازتها. على أي حال، لم تكن هذه الوظيفة دائمة. من المؤكد أنها لن تكون بهذا الضعف عندما سيكون عليها أن تواجه ما تتوجب فعله اليوم.

وضعت إبريق الماء الساخن على النار لكي تعد الشاي عندما يأتي بوب، لكن أنكارها كانت بعيدة، بل مشغولة بالتفكير في هاريس الذي طبع ثانية على خدها، عندما غادر المنزل سابقاً، فيما حاول هذه المرة، أن يطمئنها إلى عدم وجود ما تخافه ظلم يقترب منها.

أمضت مالون اليومين التاليين مدركة أن هاريس يختلس أنكارها طوال الوقت. وهو أول ما تفكّر فيه عندما تستيقظ صباحاً، وأخر ما تفكّر فيه بلا.

كان هاريس يختلس ذهنها، حتى وهي تتحدث مع العمال.

حدثت نفسها مرات لا تُحصى بأنه أمر سيء، وأنه لا ينبغي لها أن تفكّر فيه، بل عليها البحث عن عمل وعن مسكن عندما تغادر منزله.

الشكلة هي أنها لا تستطيع أن تبحث عن وظيفة. لم يكن لديها فكرة

عما تريده سوى الإقامة في مكان قرب هاريس بقية حياتها.

تساءلت عما إذا سيحضر في العطلة القادمة، وتدرّبت على تأدبة دور المودة معه عندما تراه مرة أخرى. يجب الآلية عانتها مرة أخرى وإلا ستضيع ولكنه لم يظهر لهفة إلى ذلك قبل أن يرحل هاريس الأربعاء الماضي.

نهضت من سريرها يوم السبت، مصممة على الألا تجهد نفسها في الاتصالات إلى هدبير سيارته كما فعلت أمس. وفي العاشرة، خرجت لتنتمى. ولكنها سرعان ما عادت... قد يصل هاريس وهي خارج البيت!

آخر وجهها، ورأته ينظر إلى وجهها الوردي، ثم قالت برقه:
«هاريس، لم أتوقع عيتك اليوم».

ـ هل الأمر مزعج؟
سالها وفي هيئه دعابة، فأجبت: «أبداً. هل قاي معك؟».
هز رأسه نفياً. وعندما نطق بكلمته التالية، انهار عالم مالون: «لقد
حضرت فيشيان. أدخلني وتعرف علىها».

فيشيان! لم تعرف مالون كيف استطاعت أن تخفي صدمتها. لم يسبق أن
قال إن لديه صديقة. لم يخطر في بالها قط أنه سيحضر معه امرأة إلى هنا!
ابتسمت ورافقته إلى غرفة الجلوس، لم تكن تزيد أن تعرف إلى فيشيان. لاتنة
لديها في التعرف إلى المرأة الأخرى.

كما توقعت مالون، كانت صديقة هاريس أنيقة لا يشوبها عيب. فهي
سمراء تتأهر الشلالين... من النوع الذي لا يُعرف بسوى أزهار
الأوركيديا. ترى كيف تبدو مالون، وهي تحضرن أزهاراً بربة؟
فثم هاريس إحداها إلى الأخرى بسهولة وظرف، وهو يضيف
سروراً: «لقد جعلت مالون المنزل بينما حقيقاً يلمسها الأثرية».
ونظرت مالون إلى أرجاء الغرفة بأرضها الخشبية العارية إلا من قطع
سجاد، فوّدت لو تضرره.

ردت بابسة: «من الأفضل أن أضع الأزهار في الماء».
كان شعر فيشيان هولز مُرّحاً بعناية، بينما كانت مالون قد تسلقت
السباج ودارت في الحقول لجمع الأزهار والأعشاب. أرادت أن تخرج من
هنا يائصى سرعة فقالت: «أتريدان قهوة؟».

يبدو أن المزايا التي اكتسبتها تدخلت الآن ليلز لسانها، فأجاب
هاريس: «حسن جداً، سأراقق فيشيان لأربها بقية المنزل».
لم تستطع مالون بلوغ المطبخ بسرعة كافية.

بحركة آلية، أخرجت مزهرية كبيرة وملاتها بالماء، بينما كانت الغيرة

لم يكن قد وصل بعد.. في الواقع لم يحضر أبداً. أوت إلى سريرها في
تلك الليلة بعد أن عفت نفسها بحدة.
استيقظت مالون في الصباح فاستحمت وارتدى ثيابها ثم هبطت السلم
إلى الأسفل لتبدأ نهارها، نابذة هاريس كوبيليان بحزن من انكارها. لديها
عمل أفضل من أن تدور في أرجاء المكان تفكير برجل لا يزعج نفسه بالاتصال
ليخبرها أنه لن يحضر.

عندئذ، صدمها استنتاجها فهي ليست سوى أجيرة. لم يطلعها هاريس
على برنامجه للعملة الأسبوعية؟
وأنقلت مالون الباب باشتياز ثم خرجت لتنمثى مرة أخرى.

قررت أنها لن ترجع اليوم في العودة، كما فعلت أمس. وتجاهلت السير
في الطريق، مصممة على التزء في الحقول.

وبعد ساعتين، عادت إلى البيت متهملة. لقد سرّها خروجها من
البيت، فقد جمعت ملء ذراعيها من الأزهار البرية والأعشاب وهي تنكر في
التألق الذي ستضفيه على غرفة الاستقبال.
فتحت الباب الأمامي شاهراً بأنها لم تفكّر في هاريس مرّة واحدة على
مدى عشر دقائق كاملة، وتوجهت مباشرة إلى المطبخ لحضور زهرية تنسق
فيها الأزهار. لم تك تجاوز الباب حتى سمعت أصواتاً قادمة من غرفة
الجلوس.

توقفت، وخطر لها أن تدخل باسمة.. فقد جاء هاريس. ولكن يجب
أن تحوّل ابتسامتها عن شفتيها وإذا كان هاريس قد أحضر آخره لنتائج الليلة
هنا.. فلا سبيل إلى مشاركته غرفته مرة أخرى. ويمكنه أن يستعمل أي عذر
كان، ولكنها حتماً لن تقبل بذلك!
شعرت فجأة بالتجمل، رغم أنها كانت تجاهد لنسيخ حولها جواً من
الحياة. سارت وفي نيتها أن تطل برأسها من الباب عجيبة، فإذا بهاريس يخرج
من غرفة الجلوس.

هاوس». .
وبيما أن فاي تعتقد أن مالون خليطه، فلا بد أنها تعرف فيبيان بشكل سطحي وليس لديها فكرة عن جدية العلاقة بينهما. ولكن.. .
ـ وما رأيك يا مالون؟

نظرت مالون إلى فيبيان وأدركت أن المرأة سألتها رأيها في المطبخ.
ـ أظن أن عمل فاي كان رائعاً.
أجبات مالون بذلك، ثم اكتشفت، عندما أشارت فيبيان إلى واحد أو الباقي من أحاجر المطبخ التي يمكن استبدالها، أن المرأة مستعدة للانتقال إلى هذا البيت في أي لحظة.

عندما أشركتها فيبيان بالحديث مع هاريس، وجدت أنها كانت تحبها في ظروف أخرى لكن هذا لا يعني أنها ستبقى هنا إذا صارت فيبيان علىبقاء الليلة.

سألتها، أولاً، لأنها ابتدأت تشعر بمودة نحو المرأة، وثانياً، بداعي التهذيب إن كانوا سيقيان لتناول الطعام. حدق فيها تلك العينان الدافئتان الرماديتان، وعندما أخذ قلبها يدق حول نظراته عنها بسرعة، لستقر على فيبيان. وفي لحظة جنونية، خيل إلى مالون أنه نسي وجود فيبيان هولز ولائيات جنون فكرتها، ابتسم لفيبيان وأعجب عنهما معاً: «لا أظن ذلك، أظنتا ستهب الآن. هل رأيت ما يكفي، يا فيبيان؟».

كان جوابه، يوضع كل شيء. عندما ينتهي العمل في المنزل، ستنقل فيبيان معه إلى «هاركورت هاوس».

كانت مسرورة لذهابهما، إلى حد أنها ابتسمت وهي تودعهما. لم يكن هاريس ينكر في مالون بربوت عندما طردها بقوله (أرجوك يا مالون، اذهبي الآن) بل كان ينكر بحبيبه فيبيان هولز.
هفت مودعة يشاشة، وهي تراها يتبع فيبيان خارج المطبخ. رجل شريف! ويا له من شرف!

نهشها بسهامها الحادة. ما الذي جعله يحضر تلك المرأة إلى هنا؟ ريه، إنه يربها البيت، كيف يمكنه ذلك؟
اعترفت مالون في سرها أن لدى هاريس كل الحق بإحضار من يربه إلى بيته وهو شيء لا علاقة لها به.
يمكنه أن ينتظر غداً طويلاً، إذا كان يطلبها سطھو لها! إنها وكيلة هنا لا طاهية. أما إذا كان مغرياً بفيبيان إلى حد إحضارها لكي يتناهى بيته، فليدع فيبيان تظهور له غداً إذن. وكذلك عشاءه، إذا أراده.
اطلقت مالون آهة مرتعنة. ربما كانت فيبيان هولز طاعنة متازة. إنها تبدو كمن يحسن القيام بكل شيء. نبذت مالون هذه الأفكار من ذهنها، وإذا بفكرة مريعة أخرى تخطر لها. إذا كانا سيمكثان لتناول الطعام والعشاء، فما الذي سيعندهما من قضاء الليل أيضاً؟
آه، لن تحتمل ذلك! لن يتوقع هاريس منها أن تستقل من غرفتها لكي تستضيف (ضيقته).

كانت مالون تعلم أن المنزل، بغرفته وسريريه الوحدين، لم يكن كبيراً بما يكفي ليستضيفهم، هم ثلاثة. فإذا بقى فيبيان هولز، سترحل مالون بربوت.

كانت تصب القهوة عندما سمعت وقع خطاهما على خشب الأرضية العاري في الطابق الأعلى. ما الذي يفعلانه هناك كل ذلك الوقت؟ وأخبرأ نزل هاريس ورفيقه السلم وأحضرها إلى المطبخ. صبت مالون ثلاثة فناجين، وعندما جلسوا يخشون القهوة، سأله هاريس فيبيان رأيها بالمطبخ، قائلاً: «معظمه من تصميم فاي».

وبشكل ما، استطاعت مالون أن تبقي ملامحها هادئة. يبدو أن فيبيان تعرف فاي. هل يعني ذلك أن فيبيان هي حبيبة هاريس منذ مدة طويلة؟ رأت مالون أن هذا الخل هو الأرجح. ربما كانت فيبيان هي التي يمضي معها هاريس العطل الأسبوعية التي لا يأتي فيها إلى «هاركورت

لكنها لم تشا أن تسمع ما يريد قوله عن فيثيان، فضحك بمرح وهي تقول: «إنه شائق»،
ومرة أخرى، راح يتفحصها ثم قال بالساح: «هل هذا كل شيء؟ أنت
قلقة بالنسبة لأي شيء؟».
ـ لا، أبداً.

ـ هل تناولت جيداً؟ هل يصيبك الأرق أو الكوابيس لأنني فقدت
رشدي قليلاً في آخر...
فقطاعته: «لا، طبعاً».

لم تكن تريده أن يسترجع ذكرى تلك الليلة. وتابعت: «كما أنت لست
زهراً مستحبة في بيت زجاجي و...».
وسكتت فجأة، تذكر الزهرة المستحبة بأزهار الأوركيديا... أي
فيثيان: «الآن ينبغي أن تتبع طريقك إلى حيث أنت ذاهب؟».

وتناثرت من أعماقها ألا يخبرها إلى أين، لأنها لا تريد أن تعلم.
لم تكن تريده أن يتقدم نحوها خطوة ليمسك بيدها، فقد تذوب تحت
وطأة لسانه... ومع ذلك كانت من الصعب وال الحاجة إليه بحث لم يعد لديها
القدرة لتفعل ما ينبغي لها فعله، وهو أن تسحب يدها من يده.
ـ هل أنت واثقة من أنك على ما يرام؟

ـ لم هو هنا يمسك بيدها بينما حبيته الرشيق تنتظره في السيارة؟
وأجابت: « تماماً».

واخبراً تغلبت عليها كرامتها، سحبت يدها من يده وترجعت
خطوة.

ـ هل مستخبريني؟
ونكست من الضحك بمرح: «أرى يا هاريس، أنك تريدين أن تنصب
نفسك طبيبي. ولكن المشكلة انتهت بعد أن تفهمت وجود حوانن طبيعية
معينة... ينبغي أن تكبح».

كانت عبرودة، ومع ذلك لم تستطع أن تقاوم إلقاء نظرة على هاريس
وهو يصر بجانب نافذة المطبخ ثم سارت إلى إدارة ظهرها، فلو حدث
ونظر، سيرى أنها قد نبذتهما من ذهنها، وأن انتباها كان موجهاً إلى خزانة
المطبخ لتبث عن شيء ما.

صحيح أن مالون لم تكن تنظر من النافذة، إلا أن أذنيها كانتا مرهفتين
تصفيان إلى هدير السيارة الذي ينبع بايادها، عندئذ فقط، يمكنها أن
تنخلع عن حلزورها.

رغم إصغائهما وفروع صبرها لرؤيتها يذهبان إلا أنها لم تسمع هدير
عرك سيارة، بل سمعت وقع خطوات... فجمدت مكانها. إنها عائدان
استدارت تواجه باب المطبخ، شاعرة بالخوف لأنه لم يبق لديها ابتسامة
شنجها لهما. ولكن، لا، لا بد أن فيثيان تنتظر في السيارة، لأن هاريس،
كان قادماً وحده نحوها.

دخل واقترب منها حتى لم يبق بينها وبينها سوي مسافة قدمين، ثم
توقف. جداً بصمت بحدقان ببعضهما. سر هاريس نظراته عليها، بينما
شعرت مالون بجنون التوتر بينهما، وأنها لم تخيل ذلك. جاءت في كسر
هذا الصمت... لكن حلقتها أصبحت فجأة جافاً فخرج صوتها مبحوهاً وكأنه
يختنق: «هل... هل نسبت شيئاً؟».

نظر هاريس في عينيها العميقتي الزرقة، وقال بهدوء: «يبدو أنك في
مزاج سيء».

ادركت مالون أن هذا الرجل لم ينكهن سبب (النحراف مزاجها)، لذا
ينبغي أن تبدي البهجة. واستطاعت أن ترسم ابتسامة أخرى: «من أنا؟».
خشيت أن يكون أحدهم من أن يندفع، فتابعت تقول: «ما هو شعورك
إذا دخلت البيت متعرجاً بالأحوال وكان عليك أن تصافح ضيفة مثل آخر
صبيحة في الأناقة؟».

ابتسم ببطء: «هل أزعجك الأمر؟ فيثيان هي...».

مالون، هل يبدو وكأنه حقاً يهم بك؟ هل نسبت قيبيان هولز؟ قال لها ساري قيبيان بقية المزل (قيبيان التي تتمتع بدقة الملاحظة وهي تقترن تفירות في المطبخ. قيبيان التي سألها (هل رأيت ما يكفي يا قيبيان؟). حسناً، إذا لم تر قيبيان ما يكفي، فقد اكتفت مالون. خصوصاً وهي تصور أن قيبيان ستنتقل إلى هنا لتنحد من «هاركورت هاوس» بيتأ لها. وتعاقب البرد والحرارة على مالون عندما خطر لها أن قيبيان مصممة على القدوم مع أمتعتها، أثناء العطلة القادمة! استيقظت مالون صباح الثلاثاء وهي تعلم أنها أدركت النهاية. نظرت إلى الجدار الذي يفصل بين غرفتها وغرفة هاريس، وأدركت أنها لن تستطيع أن تحتمل إذا جاء هاريس وقيبيان يوم السبت وباتا الليلة في.. في غرفته. تركت مالون سريرها، مصممة بحزم على حزم أمتعتها قبل أن تأتي قيبيان إلى هنا.

قبل أن يصل بوب ميلر، وضعت مالون ملاءات سريرها ومتناشفها في النسالة، ثم اتصلت هاتفياً بمحطة القطار لتعرف مواعيد القطار. هناك قطار ينادر في الثانية عشرة وربع إلى محطة القطار الكاتنة قرب منزل أمها. كان الوقت يمكر للاتصال بها، لكنه ليس كذلك بالنسبة إلى متاعها. حاولت مالون أن تكون عملية وهي تجمع أمتعتها وتبتعد أفكارها غير المرغوبية. إنها الآن تقطع كل الروابط مع هاريس، فهي لن تراه مرة أخرى أبداً. كانت هذه الفكرة تعذبها. لذا، عندما اتصلت بأمها في الثامنة والنصف، كانت تشعر بتعاسة لم تعيدها من قبل.

ـ مرحباً يا حبيبي. كان جواب أمها حاراً مشوياً بالحنان إلى حد أوشكت معه مالون أن تضجر بالبكاء. سألتها بصوت عذق: «هل أستطيع المجيء إليكم؟».

فارقت البسمة ملامح هاريس، ورأت أنه لم يفهم كثيراً بقولها. ولكن، مع ذلك، يقى يسألها: «هل أفهم أنك صفحت عنى لعدم كبحي مشاعري؟». هذه المرة، كانت ابتسامتها حقيقة، عملاً بمسحة من الارتياح، لأنها لم تكن تفكك في مشاعرها بل في مشاعرها. إنه ليس موضوعاً هاماً، صدقني يا هاريس. قالت هذا ثم تقدمت نحوه بحذر. تناست تماماً أن حبيبته تتذكره في السيارة وكانت تلك غلطة، لأنها أدركت حالماً تعايناً أن صدمة كهربائية سرت في كيانها. عندما هبت بالابتعاد عنه، قبضت على ذراعيها بدان حازمان، فأخذت، مرة أخرى، تحدق في عينيه الرماديتين الدافئتين. هبت مالون وهي تشقق: «ها آنذا صفحت عنك تماماً، هل أنت راض؟». لكنه استمر في القبض على ذراعيها. وبعد لحظات، أردف بصوت أحش: «عليَّ أن أذهب».

ـ ثم خرج. في الأربع وعشرين ساعة التالية، استعادت مالون في ذهنها زيارة هاريس مرة تلو الأخرى. كيف يبرُّ على إحضار امرأة إلى البيت الذي تسكن فيه؟ وتخلِّكها الغضب في لحظة فبدت غير عقلانية. ولكن لم عليها أن تلتزم بالمنطق إذا شاءت هي العكس؟ لم عليها أن تكون عقلانية؟ إنها تحب ذلك السائق.

ـ لكنه لا يدرِّي أنها تحبه.. ولن يعلم! فهي تعرف مقدار حاسبه، ولهذا ستموت إذا ما شعر بالشقة عليها. لن تسمع له بذلك. اختفت كبرياًها وهي تذكر كيف ترك قيبيان في السيارة ليعود إليها. تنهدت بعجر وهي تفكك في أنه تسكن، بحاسبه المرهفة، من التبه إلى أنها، رغم ادعائهما، لم تكن مرتاحاً. هل هذا يعني أن أمراًها يهمه؟ ولو قليلاً؟ حدثت نفسها: دعني عنك يا

سألها أمها بلهفة: «هل تبكين؟».

نعم.. إنها تبكي، وتنزف من الداخل..

- هل يمكنني للجي؟؟

- طبعاً يمكنك، أنت تعلمين ذلك.

وادهشت مالون بسؤالها التالي: «كيف ستحضرين إلى هنا؟ أتريديتنا أن نأتي أنا وجون لتأخذك؟».

فأجابت مالون: «لا، لا. أنا بخير. سأستقل قطار الثانية عشرة والرابع.. كما أنتي لا أبكي».

بعد ذلك، ذهبت تبحث عن كيبين الذي وافق على اتصالها، عندما أخبرته أن عليها أن تكون في المدينة عند الظهر.

أخذت أمعتها إلى المطبخ، ثم اطمأنت إلى نظافة المكان واهتمت بكتفي غبلها ووضعه في الدرج. عند العاشرة والنصف، ذهبت لبحث عن بوب ميلر.

ووجدته على رشك أن ينطلق بسيارته إلى مكان آخر يبعد أميالاً فاووضحت له بشاشة أنها ستقدر «هاركورت هاوس»، وستترك مفاتيح المنزل.

بدأ الفضول على وجهه. وعندما لم تزد مالون شيئاً على كلامها تكلفت اللذع وقال هازلاً: «أتعنيين أنك سترحلين لتركتيني أعد الشاي بتفسي؟».

- لن يقتلك الأمر.

أجابت بذلك، وبعد أن انفقل على أن تسلم المفاتيح إلى كيبين، عادت إلى البيت.

لم تقرر ما ستفعله بالنسبة إلى هاريس لأنه فقد وكيله. أرادت أن تتصل به ولكنه قد لا يكون موجوداً، أو قد يكون لديه اجتماعاً. لقد كان طلياً للغاية معها، فقد آواها في بيته وأعطهاهما عملاً، وأقل ما عليها فعله هو التحدث إليه شخصياً، رغم أنها لا تعرف سبباً تقدمه لرحبها.

وأخيراً، أخذت دفتر الرسائل، وهي تدرك أن السبب الوحيد الذي يدفعها إلى الاتصال به هو أنها تبحث عن عذر. كانت متلهفة لسماع صوته، وهو أمر يثير الرثاء إذ يجب أن تكون قوية.

عندما كتبت أخيراً ما تريده، لم يعد لديها وقت لفضيحة. شكرت هاريس لشهادته، لكنها قالت إنها تشعر بأن الوقت حان لترحيل. كانت تعلم بأنها لن تراه مرة أخرى، ما يعني أنه لن يستطيع أن يست夠جها بشأن قرارها... .

عندما جاء كيبين إلى المطبخ ورأى أمعتها سألها: «أتریدين وضع هذه في الشاحنة؟».

- سأحمل أنا واحدة منها.

عندئذ رن جرس الهاتف، فقال كيبين: «ما من مشكلة. سأحمل الأمعة بينما تحببين أنت».

وتوارى قبل أن تقرر مالون ما إذا كان ينبغي عليها أن ترد. ولكن من تراه المتصل؟ كانت تغلي من الداخل إنما ذهبت لتجيب. كانت أمها قد أخذت عليها لغاني مع جون كي يأخذها من المحطة. لكن أمها لم تستر جون، وهذا هي تطلبها لتقول لها أن تغض برأسها. ورفعت كانت واثقة من أنها أنها، فلماذا إذن تشعر بهذا الارتجاف؟ السعادة: «آلو؟».

- كيف هي الحياة عندكم في هذا الطقس الشمسي؟

جاءها صوت هاريس، فانهارت على كرسي. بذا صوته دافناً، ومرأجه مرحباً، فأجابت: «بأحسن حال. في الواقع...».

ولم تستطع أن تنطق بكلمة.

- في الواقع؟

ألفت عليها السؤال، ثم تغيرت لهجةته: «ماذا حدث؟».

- لا... لا شيء.

تجاهلت.

ذهبت إلى المطبخ ومزقت الورقة التي كتبها له، فلم تعد ضرورية.
بعد أن أغلقت الأبواب، مستثنية ما يحتاج إليه العمال للدخول والخروج
خرجت إلى الشاحنة وربت الهاتف في أذنيها.
تابع كيلين الحديث معها بحورية وبشاشة طوال الطريق إلى المحطة وعند
وصولهما أصر على نقل أمتعتها إلى الرصيف. وعندما ناولته مالون مفاتيح
البيت، سألها: «هل ستعودين؟».

ـ ربما أعود.
شكّرته وودعته وهي تعلم أنها نطقـت لنـها بأكـبر كلـبة فـهي لـن تـعود.
لقد غادرت «هاركورت هاوس» إلى الأبد، والأمر مؤلم للغاية.
تأكدت من أن الاتصال الثاني كان من هاريس، عندما وجدت أنها
وزوجها في المحطة.

كان القلق يادياً على أمها، لكن مالون لم تستطع أن تنفس سعادـة أمـها،
فما إن انتهـت وقـبلت جـون وهي تـقول بـشاشة: «من الجـميل أن أـعود إـليـكـما
ولـكتـي لـن أـقيم طـويـلاً».
رد جـون: «تعلـمين أـنـنا نـرـحب بـإـقامـتك هـنـا قـدر مـا تـشـائـنـ، إـنـه بـيـثـكـ
الآن».

فـابتـسـمت لـه مـالـونـ، لـكـنـها كـانـت تـعلـم أـنـها سـتـزـسـ بـيـتها فـي مـكـانـ
آخـرـ.

عـندـما وـصلـت إـلـى الـبـيـتـ، حلـ جـونـ حـقـائـيقـاـ إـلـى الغـرـفةـ التي أـعـدـهاـ أـمـهاـ
لـهـ، وـقـالـ لهاـ باـسـماـ: «سـائـرـكـ لـتـرـتـاحـيـ».
خرجـ فـيـما بـقـيـتـ أـمـهاـ لـتـسـأـلـهاـ: «مـا الـذـي حـدـثـ يـا مـالـونـ؟».
لـأـمـهاـ كـانـت سـعـيـدةـ، لـاحـظـتـ الـأـمـ فـورـاـ أـنـ اـبـتـهـاـ غـيرـ سـعـيـدةـ فـي أـعـماـقـهاـ
رـضـ بـشـاشـتهاـ.

نـظرـتـ مـالـونـ إـلـى الـمـرأـةـ الغـالـيـةـ عـلـى قـلـبـهاـ وـالـتـي أـصـبـحـتـ أـكـثـرـ ثـقـةـ بـنـفـسـهاـ

ـ ما الـذـي يـحـدـثـ.. مـعـكـ؟
الـغـ عـلـيـهاـ، كـانـت تـعلـمـ أـمـهاـ تـخـيـلـ ذـلـكـ، لـكـنـ صـوـتـهـ يـداـ جـديـاـ وـكـانـ
الـأـرـضـ مـتـهـارـ.

ـ إـنـها عـمـرـ أـمـيـاتـ! كـانـت تـعلـمـ أـنـ عـلـيـهاـ أـنـ تـخـبـرـ، وـقـالـتـ: «أـنـا
راـحـلـةـ».

ـ رـاحـ...
وـسـكـتـ، يـيدـوـ أـنـهـ كـانـ يـبـحـثـ بـنـفـسـهـ عـنـ السـبـ: «هـلـ جـاءـ فـيلـيـسـ مـرـةـ
أـخـرىـ؟ أـعـرـفـ أـنـهـ هـذـاـ الـأـسـبـعـ يـعـمـلـ فـيـ الـبـيـتـ. إـذـاـ كـانـ...».

ـ لـاـ. لـمـ يـقـرـبـ مـنـ هـنـاـ.
ـ أـجـابـ بـسـرـعـةـ، مـتـكـهـةـ بـأـنـ تـلـكـ الـمـعـلـومـاتـ قـدـ بـلـغـتـهـ مـنـ فـايـ.

ـ مـاـذاـ إـذـنـ؟
ـ فـكـرـتـ فـقـطـ فـيـ أـنـ أـوـانـ الرـحـيلـ قـدـ حـانـ. هـذـاـ كـلـ شـيـ».

ـ ثـنـتـ، وـهـيـ تـعـبـ، لـوـ أـنـهـ يـطـلـبـ مـنـهـ الـبقاءـ.
ـ هـلـ أـنـتـ خـائـفـ؟ هـلـ كـدـرـكـ شـيـ؟ مـاـ؟ هـلـ هـوـ أـنـاـ؟ إـذـاـ...».

ـ رـدـتـ بـسـرـعـةـ: «لـستـ أـنـاـ».
ـ كـيـفـ يـمـكـنـهـ أـنـ تـكـذـبـ عـلـيـهـ.. وـكـيـفـ يـمـكـنـهـ الـعـكـ؟ وـأـضـافـتـ:

ـ كـمـاـ أـنـتـ لـستـ مـتـكـدـرـةـ».
ـ بـلـ أـنـتـ كـذـلـكـ!

ـ أـنـاـ أـنـكـرـ فـقـطـ.. بـأـنـيـ أـرـيدـ أـنـ أـرـجـلـ.
ـ سـادـ صـمـتـ قـصـيرـ قـالـ بـعـدـ: «سـتـنـاقـشـ هـذـاـ أـنـاءـ الـعـطـلـةـ. سـأـحـضـرـ يـوـمـ
الـجـمعـةـ...».

ـ وـحدـهـ؟ فـقاـطـعـتـهـ: «أـنـاـ رـاحـلـةـ.. الـآنـ».
ـ زـجـرـ قـائـلاـ: «لـاـ يـمـكـنـكـ!».

ـ وـاغـرـورـتـ عـيـنـاهـ بـالـدـمـوعـ وـهـيـ تـضـعـ السـمـاعـةـ مـكـانـهـ يـهـدوـءـ. أـخـذـ
الـهـاـنـفـ يـرـنـ مـرـةـ آخـرىـ. وـلـكـنـهاـ هـذـهـ الـلـرـةـ فـعـلـتـ مـاـ كـانـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـفـعـلـهـ،

عنواناً. سيخمن أنها ذهبت إلى بيت أمها، ولكنه لا يعلم بمكانتها، ولا يعرف حتى اسم والدتها بعد زواجها. وغضت شفتها بقوة لخبرة الأقدار منها.. هل يتحمل أن يأتي هاريس باحثاً عنها؟
سرّها أن تترك لها أمها الأطباق، فهي لم تكن تريدها أن تُتعب بعزيز من العمل. كانت تشعر بال الحاجة إلى أن تشغل نفسها على الدوام، فقد يساعدها الأمر على عدم التفكير في هاريس.

لكن هذا الحل لم ينفع. وفي الثامنة والتسعين، بدا البيت منظماً فيما ذهبت إلى غرفة الجلوس وجلست على كرسي مريح، ولكنها سرعان ما عادت لتقف.. لم تستطع أن تشعر بالاستقرار.

صعدت إلى غرفتها لتحضر كتاباً ثم قرأت منه فقرة واحدة قبل أن تتحول أفكارها إلى هاريس الذي عارض رحيلها. ذاب قلبها رقة وهي تتذكر قوله: «ستتحدث في الأمر أثناء العطلة، فأنا قادم يوم الجمعة». ذكرها المنطق بأنه قد يأتي حقاً ولكن ليس وحده. وهذا هو سبب رحيلها، فهي لن تطبق رؤيتها مع فيقيان هولمز. كانت تعلم أن الأمر لم يكن مجرد غيرة، بل صيانة للكرامة. إذا كان سبعد مع فيقيان، فهي تمنى له حظاً سعيداً، ولكنها لا تريد أن تبقى قريبة منهما.

شعرت بأن الأيام يحيط بها كصحابة مظلمة، فنبّلت هاريس من ذهنها، ونهرت نفسها قوليها أن تطلق في حياة جديدة. ورن جرس الباب. لم تذكر أنها أحداً سيزورهم. ذهبت إلى الباب تفتحه، وإذا بها تلتقي أكبر صدمة في حياتها.

توهج وجهها أحراضاً، ثم شحب مجدداً. لم يكن الطارق يريدها، أو زوجها، لكنه كان ذا عينين رماديتين لا تبدو فيها المودة على الإطلاق، رأت الرجل الذي كانت تفكّر لتوّها بأنه لا يُعرف المكان الذي رحلت إليه. وشهقت: «كيف.. كيف عثرت علىِ؟».

عاد لونها إليها، لكن ذهنتها لم يعد يستطيع التفكير أكثر من ذلك.

ولم تعد بحاجة إلى حياة من ابتها. حاولت أن تخلص من الجواب، ولكن نظرة إلى أنها أبانتها باستحالة أن تكذب عليها: «لقد أحببته».

- هاريس كوييليان؟ وهل أحبك هو؟

- لديه صديقة يحبها، فرأيت أن من الأفضل أن أتركه.

- أواه، يا حبيبي.

هفت أيام وهي تحضنها.

ampشت مالون النهار متلبدة الحواس، وعند المساء كانت تساعد في إعداد العشاء، عندما دخلت أنها قاتلة إنهم سيتناولون العشاء باكراً لأن...

وسكت، فسألتها ابتها: «ماذا؟».

وابتسمت إزاء نظرة أنها المذنبة، لكنها فهمت أخيراً أن أنها وزوجها كانوا قد قررا الذهاب إلى المسرح ذلك المساء.

فقالت مالون مازحة، مدركة تماماً أنها الغيا أسيتها لأجلها: «لا أريد أن اسمع انكم allen تذهبوا».

- ولكنك.. متقدمة!

- لا، لست متقدمة. كنت كذلك لكنتي بخبر الآن.

كان المنزل هادئاً بعد خروج أنها وزوجها، وأدركت أن عليها أن تشعر بالسرور لهذا الجو من الهدوء والسلام. رغم أن البنائين يغادرون عادة في مثل هذا الوقت، إلا أنها اعتادت الجلبة في أرجاء المكان، وتنبت لو تعود إلى هناك. بعد لحظة، اعترفت لنفسها بأنها لا تستيق إلى جلبة البنائين بل... إلى المنزل فقط، لتتوقع في كل لحظة اتصال هاريس أو عبّه إلى البيت. وتنبت قليلاً لو أنها لم تغادر المنزل، لكنها كانت تعلم أن البديل لذلك أن تبقى وترافق علاقته مع فيقيان هولمز.. سيكون الأمر لا يطاق.

كانت مصيبة في الرجل. تصلب ظهرها بتصميم، لكن ذلك لم يخفف من لها. لقد فصلت هاريس عن حياتها.. تركته من دون أن تترك له

حذق هاريس إليها متصلًا: «بكل صعوبة، مضحياً بما يبقى لي من كرامة». واخذت نظراته تتفحص وجهها، من دون أن تعلم عما يبحث: «أريد أن أحدث إليك وحدنا. ستحدث في سيارتي». وبيان التوتر في صوره.

٨ - سيدة القصر

بقيت مالون تحدق إليه بذهول حتى عندما تراجع خطوة، متوقعاً منها أن تتبعه إلى سيارته. سأله متربدة وهي تشعر بدوار: «هل... هل تريدين تتحدث إلي؟». وعاد ذهنها يعمل، وأخذت الأنكار تتلاحم. كيف وجدها؟ إنه لا يعرف عنوان أمها الجديد، حتى ولا عنوانها القديم. لماذا أزعج نفسي بالبحث عنها؟ ثم... ماذا يبقى لي تحدثنا عنه؟ وأجابها عابساً: «نعم. ووحدنا».

وحدنا؟ من دون وجود أمها وزوجها؟ هل يريد هاريس أن يطردها من العمل لرحيلها من دون إذن منه؟ يبدو عليه من مظهره الصارم أنه سيرويها، لكنه لا يريد أن يذلها أمام الآخرين. فتحت فمه لتخبره بأن يذهب إلى الجحيم، ولكنها اعترفت بضعفها أمامه ولم تشا أن تدعه يذهب مرة أخرى... ليس الآن، وهو لن يلبث أن يبتعد عن حياتها إلى الأبد.

- تفضل بالدخول.
- قلت وحدنا.

- أمي وزوجها غائبان، ويمكنك أن تدخل إلا إذا كنت تنوى قتلني. تقدم خطوة إلى الأمام فامسكت له الباب فيما اجتاز العتبة فتابعته ثم

أحب ذلك. خصوصاً وأنك تعلمين أنني لن أؤذيك أبداً». لبت كلامه صحيحاً فهي تتألم بيها. سارت إلى كرسي مريح نجح كرسياً قربها وجلس عليه. كانت تفصل بينهما خطوات فحاولت تبرئة نفسها من دون أن تنفضح مشاعرها، فنظرت أن باستطاعتها تفسير الأمر: «لقد كتبت لك ورقة».

ـ لم أجدها.

لقد ذهب إلى منزله إذن: «هل ذهبت إلى هناك؟ بعد اتصالك بي لم يبق للورقة أي فائدة، فمعذرتها. إذن.. ذهبت إلى هاركورت هاوس؟».

ـ طبعاً كنت هناك!

تكلمت بخشونة، ثم تابع يقول ما أدهشها تماماً: «كنت في منتصف الطريق عندما اتصل بي بوب ميلر ليقول إنك رحلت. بدألي...».

ـ لم يكن بوب ميلر موجوداً حين رحلت.

ـ أعلم ذلك.

وخطرت لها تكرا فجأة نائلة مذهولة: «لا أظنك تركت مكتبة وجئت إلى «أيرماسي» فقط لأنني...».

وসكتت. هو طبعاً لم يفعل ذلك! لا بد أن الحب أعمى ذهنها: «آسفه، إنه سؤال غبي مني».

بين يديه معاملات بمليين الجنيهات، فكيف يخطر ببالها أنه سيترك عمله فقط لأنها أبلغته برحيلها! لكنها رأته يوميًّا بوضوح فشارعت دقات قلبها، وأحر وجهها وهو يضيف: «تابخرت فقط لأنك اتصل بي بوب ميلر، ثم انطلقت».

ـ أنت... أنت...
وخانتها الكلمات. كانت تفترض أنها وكيلة كفوة، ولكن إلى هذا الحد؟ ليترك هاريس عمله ويأتي إلى منطقة «أيرماسي» أو ليطلب منها أن تعيد النظر؟ صفعها المنطق لأنها حقاء. إنها عبرد وكيلة لهاريس لا أكثر ولبس

تقدمة إلى غرفة الجلوس وقلبها بخفق لرؤيتها غير المتوقعة له. وفي غرفة الجلوس، استدارت لتسأله عما جعله يبحث عنها. وقعت عيناه على وجهه، الذي كان عابساً وعدائياً، فرأته، رغم ذلك، حبيباً.

لكنها وجدت نفسها تسأله، وهي ترى من لباسه أنه جاء مباشرة من مكتبه: «هل تعشيت؟».

ـ ومن ي يريد طعاماً؟
رفض دعوها بازدراء وقلة عهديب. وذكرت في أن تدعوه إلى الجلوس، لكنه لن يمكن طوبلاً.

وسألها فجأة: «ماذا رحلت؟».

كان يريد تفسيراً لم تكن تملكه. عاد ذهنهما إلى التوقف عن التفكير.

وقالت: «منذ البداية لم أكن أنوي البقاء! وأنت تعلم أن عملي مؤقت».

نظر إليها بغيظ. وعندما نظر فجأة في عينيها، لانت لهجهة وهو يقول: «ذكرت في أن نتحدث.. نحن الاثنين».

أواه، يا هاريس! إنها تريد أن تكون فلة معه وهو يصعب الأمر:

ـ يمكننا ذلك. لقد سبق وتحديث معك، وأخبرتك بأشياء لم أخبرها لأحد.

ولكن...».

وسبكت متذمذلة، شاعرة بأنها قالت الكثير.. فقد سبق وقالت الكثير والكثير أيضاً.

ـ ما الذي حدث إذن؟ ماذا حدث لتلك الفتاة التي وضعتها بي لتهرب حتى دون أن تخدليني أولاً؟

كانت نظراته مسمة على وجهها بثبات قبل أن يتهمها قاتلاً: «لو أني لم أتصل بك هاتفياً لما كنت أخبرتني عن قرارك».

ـ لم يعجبها تحليله، ولو مده، ولا حتى اهتمامها بالهرب. فاندفعت تقول:

ـ هل لك بالجلوس؟ أتريد شراباً؟ ما دمت لا تريدين أن تأكل؟».

ـ لم يعجبها أن يأمرها بخشونة: «لا تثوري في وجهي، يا مالون. أنا لا

غرفتك أو في أي مكان آخر في المنزل على ما قد يدلنا على مكانك؟».

- هل فتشت غرفتي؟

سأته بضعف، وهي تحاول جاهدة الآثرى أي خطأ في عمل هاريس.

نأجاب: «فتشت في كل مكان».

- ولم تجد شيئاً؟

فقال بصعوبة: «ولا أثر يرشدنا إليك».

ربما، يبدو وكأنه حريص على العثور عليها.

ابتسمت مظاهرة بالهدوء: «و... ولكنك وجدتني. أنت هنا الآن. كيف عثرت علي؟».

رغم الاضطراب الذي يتحكمها، أرادت أن ترضي نفسها. ولأول مرة منذ وصوله، بدا عليه الارتياح. أجب بشبه ابتسامة: «كما سبق وذكرت، أهدرت ما يتقى من كرامتي. إلا أن العثور عليك يستحق هذا العناء». رفض قلبها بجحون أن يقبل النطق للوزن... لا يمكن أن يعني ما نظره. هل بين هاريس بها قليل؟

وسائطه بصوت لا يكاد يعلو عن الهمس: «عنوان؟».

- نعم. عنوانك. كنت في غرفة الجلوس، وتلك الأزهار البرية التي تطفetta الأحد الماضي ما زالت يانعة في إناثها، وحاولت إلا استسلم لللبايس. لو أنه لم يشر إلى زيارته لها نهار الأحد بنفس اللهجة التي ذكر فيها ياسه من احتمال العثور عليها، كان قلبها ليقفرز من صدرها. لكنه ذكر الأمرين معاً، وذكراها بأنه أحضر معه حبيبته ثيبيان هولمز، فأبطل أي مشاعر حفاظ تملكتها.

- لا بد أنني تركت أثراً ما، على كل حال.

قالت بجهاء وفتور، فرأى هاريس يقطب جبيته للتغيير الذي أصابها. لكنه شرك بهدقه بحزم، رغم أن مالون حارت في إدراك الهدف الذي يرمي إليه... إلا أنها لن تعود حتماً إلى منزله. قال هاريس: «كنت أحاول

مدمرة منفذة عالية اللقام في شركته المالية. أرادت أن تصل معه إلى حل معقول: «أنت... قلت إنك اتصلت بيوب ميلرا».

- اتصلت بالخلوي. لم يكن في المنزل إذ كان منعماً في أحد أعماله الأخرى التي تبعد حوالي عشرة أميال، قال إنك تحدثت معه عن إعطائه المفاتيح ليحتفظ بها.

توقف هاريس ثم أردف بتلك النظرة الثابتة التي تعرفها جيداً: «لم أهتم مطلقاً بحسنك للموضوع، بل أخبرته بأن يعود إلى «هاركورت هاوس» ويمنعك من الرحيل».

اتسعت عيناهما الجميلتان وهي تشقق: «يعني من الرحيل؟».

- وعندما وصل إلى هناك، كنت قد رحلت. في أعماقها كانت مالون مضطربة، وجاءت للاحتفاظ بهدوتها. حدثت نفسها بأن هاريس رب عمل حساس وشهم، وأنه كان ليتصرف على هذا النحو تجاه أي من مستخدميه، لكن عقلها لم يعجبه هذا التحليل. حدثت نفسها: هي يا مالون، هل تصدقين ذلك حقاً؟ ولكن إذا لم تصدق هي ذلك... فلم يترك هاريس، رجل الأعمال المرموق، كل شيء ليبراهام... ويعامل منها من الرحيل؟ لا يعني هذا أنه يشعر نحوها ببعض الاهتمام الشخصي؟

فتحت فمها مدهولة رغم أنها لا تصدق اهتمام هاريس بها. لا شك أن هذه الفكرة حدمتها نوعاً ما.

- أنت... لم تستطع أن تنطق بغير ذلك ثم عاد ذهنتها إلى التحليل: «وقررت متابعة طريقك إلى «هاركورت هاوس» على كل حال؟».

أجب وهو ينظر في عينيها بثبات: «كان خياري الوحيد. عندما أدركت أنني لا أعرف في أي طريق ذهبت، وأنني لا أملك أي عنوان لك... إلا إذا ذهبت إلى بيت أمك الجديد... تملكتي الأمل في أن أتعذر في

مالون^٤.
عندئذ، غمرها شعور لم تستطع أن تبقى معه جامدة، فانتصبت واقفة
وابتمدت عنه، توليه ظهرها لثلا يرى فيض المشاعر على وجهها.
سمعت يتحرك ثم وقف خلفها يهدئها بقوله: «لا تفرغي، أنا أعلم أنني
تجاوزت الحد معك منذ أسبوع، وإذا كان تصرفي أخالك مني وجعلك
غيرين، فسأخذ الأمور بشكل...».

استدارت مالون تواجهه. بدا قلقاً، مرهقاً فلم تستطع احتمال ذلك.
إذا كانت هي من سيمزح كرامته في التراب، فليكن، رغم أنها ما زالت تجد
صعوبة في تصديق أنه اندفع إلى منزله، متغلباً على كبرياته وذهب ليطلب
خدمة من صهره ثم جاء يبحث عنها.. كيف تدع هاريس يظن نفسه مذنبًا
أو أنانياً؟

أردفت برقة: «يا هاريس، ما أسوأ ذاكرتك».
حدق إليها، وكان الإرهاق بادياً عليه، وسألها: «هل كنت
أزعجك؟».

فهزت رأسها، حتى أنها استطاعت أن تبسم: «لا يأس، على أن
أعترف بأنني لست ماهرة للغاية، وهناك الكثير لأنعلمه، ولكن أذكر أنك
أمرتني بترك الفرقة وليس العكس».

يداً وكان الإرهاق فارقه، لكنه سألها: «الم يحدث ما أزعجك وجعلك
قلقة متضايقه مني...».

- الشيء الوحيد الذي أزعجني هو اعتقادي أن بإمكانك الوثوق بك،
وإذا بي أكتشف...
وتراجعت. لأنه كان يتألم كما يدو.. هي تعبه إلى حد لا تردد له الألم.
لبعود، أملاً في أن يكون لديه عنوان أمك الجديد».

حدق هاريس بها لحظة بدت لها دهرأ، ثم قال برقة: «يا عزيزتي،
اتعنين أنتي لو لم أطلب منك المغادرة، كنت لـ...».

بنهاية أن أذكر أي شيء قلته، قد يرشدي إليك. وهكذا عدت إلى نقطة
البداية، حيث تقابلنا عندما كنت هاربة من صهري، ولكنني لم أجد دليلاً
إلى أن تذكرت أنك كتبت إلى رولاند فيليس بشأن الوظيفة. وأدركت أن
فيليس يملك عنوانك القديم، فذهبت لرؤيتها».

ـ أواه، يا هاريس!

تنعمت بشكل ثلثائي، وقد أدركت ما يعنی بقوله (إهداه كرامته) فقد
كان إدلاً كبيراً له أن يطلب خدمة من فيليس.
ـ لا بد أنك كنت متلهفاً للحصول على عنواني.
نظر إليها مطولاً دون ابتسام، ثم قال ببساطة: «هذا صحيح».
 فقالت فيما جفت حلقاتها: «هل... هل أعطاك إياه دون... دون
جدال؟».

عندئذ اتسم هاريس: «لا يمكنني القول أن ذلك تم دون جدال. في
البداية قال إنه لا يعرف مكان رسالته، وعندما قلت له إنك كنت تظمرين
ملفاته في المكتب...».

ـ هل تذكرت أنتي قلت لك إنني نظمت مكتبه؟
ـ أم أقل لك إنني استرجعت كل ما قلته لي، لأعثر على دليل؟ ذكرت له
بافتراض مصير وظيفته عندما يسمع رؤساؤه بتصرّفاته.

ـ هل وجدت رسالتي في ملف كتب عليه (مراسلات عامة)^٥?
فأوما: «تم كان علي أن أتفحص حوالي الساعتين، متظراً الساكن الجديد
حدقت مالون إليه وعلا أذنيها طين. لا تستطيع أن تذكر ما أنيماها به
كلامه».

سألته بصوت أربع: «هل عانيت كل ذلك؟».
نظر إليها باتزان، ثم قال بهدوء: «كان الأمر مهمأ لي».
تركزت عيناهما عليه عندما أضاف بعنةية: «أنت مهمأ بالنسبة إلي، يا

ـ ما كنت لاستطيع أن أمنع نفسي...
ـ آه، يا حبيبي.

ـ عنتم بذلك وهو يعذ ذراعيه لها. خلق قلبها بعطف وهي تلقي ب نفسها
ـ بين ذراعيه. تملكتها البهجة وهي تشعر بذلك فسألها: «اللهذا السبب هربت؟
ـ لأنك لم تثق بي نفسك وأنت معي تحت سقف واحد؟».
ـ ونظر في أعماق عينيها. لا بد أنه يهتم بها شخصياً. بكل شيء يصدر
ـ عنه، كل نظرة، كل ما عرفته للتو يثبت لها أنه ما كان ليأن إليها ويختضنها
ـ بين ذراعيه بهذا الشكل، إذا كانت لا تهمه. كانت تعلم أنها تثق به تماماً، إلا
ـ أن عزة نفسها منعتها من أن تكون صريحة معه كما يجب، وبعد لحظة
ـ صمت، قالت: «ليس تماماً».

ـ هل هربت لسبب آخر؟
ـ سألهما بنفس الحدة التي تعرفها عنه. وشعرت عندئذ أن من الأفضل الآ
ـ تقول له شيئاً على الإطلاق. لأنها إذا قالت الحقيقة، فسيفهم أنها تعب
ـ صحيح أنه يهتم بها قليلاً، إلا أن مشاعره بعيدة جداً عن الحب الحقيقي الذي
ـ تشعر به نحوه.

ـ وسألها برفق: «الا تريدين أن تخبريني؟ حتى عندما ينسى لنا أن
ـ نتحدث معاً؟».

ـ ضحكت بخفة وهي لا تدري متى التفت ذراعاهما حول خصره. كان
ـ مجرد وقوفهمما معاً بهذا الشكل، يملأها بهجة ومرة. وقالت باسمه: «هناك
ـ أمور لا تحب الفتاة أن تخبرها حتى لأعز صديق لديها».

ـ ابتسם هو أيضاً وانحنى ليعانقها ثم قال وهو يقف متصبراً وعيناه في
ـ عينيها: «رغم أنك تعلمين أنني واقع في غرامك إلى أقصى حد؟».

ـ حلقت فيه بشكل لا إرادي، وجف حلقها.. هاريس، هاريس،
ـ هاريس.. ما الذي يعنيه بالضبط بكلامه؟
ـ سأله وهي تلملم شتات نفسها: «هل لك أن.. نوضع كلامك؟».

ـ لكنه بدا بنفس الخذر وهو يقول: «حسب علمي، ما كنت لتنفهي
ـ بذلك إلا إذا كنت تشعرين نحوه بشيء ما».
ـ ما هؤلاً يقترب من الحقيقة. وترددت، حاولت أن تقول: «أنا..
ـ هذا..».

ـ وتلعمت، ثم أدركت أنها، وهي تقول تلك الكلمات المتقطعة،
ـ اعتزفت بأنها تشعر نحوه بشيء ما.
ـ أدرك ذلك هو أيضاً، فاشتدت قبضته عليها قبل أن يمنحها ابتسامة
ـ صغيرة ويقول: «ابتدأ ذلك ذات يوم عطر عندما توقف بسيارتي لأعراض
ـ عليك توصيلك. رفضت في البداية..».
ـ لكنك قمت بجولة ثم عدت مرة أخرى.

ـ أكملت كلامه هامسة. فقال: «حدثت نفسي بأنني تصرفت بغباء..
ـ وإن شخصاً آخر سيعزز وستقبلين منه أن يوصلك. ولكن هل ما كان على
ـ وجهك عطر أم.. دموع؟».
ـ فقالت برقه: «أخذتني بسيارتك. لم توصلني فقط، بل منحتني
ـ عملاً».

ـ ولماذا لا أتحلّك؟
ـ سألهما عباساً ثم تابع يقول: «فيليس، مع الأسف، هو نسب
ـ لأسرتنا... وقد حاول الاعتداء عليك!».
ـ كنت شهماً.
ـ وايسمت له، لأنها لم تكن تريده أن يبعس ومالت إلى الأمام ثم عانقته
ـ برقه.

ـ آه، مالون، مالون.
ـ قدم بذلك وقد تلاشى عبوسه، وبدا على ملامحه شبه ابتسامة وهو
ـ يتتابع: «لا أدرى ما إذا كنت شهماً. كل ما تذكرت فيه، حينذاك، هو أنني
ـ أسامح بإعادتك إلى اتزانك بعد التجربة المحرّنة التي عانيتها. أما ما لم أتوقعه

- أغيّبني؟

لما جاهلت السؤال: «ماذا كنت تقول؟»^٤.
عاتقها هاريس برقه، متمهلاً، ثم شد قبضته علىها وهو يرتد إلى الخلف
وقال يأسف: «ما كان لي أن أفعل ذلك. كما لم يكن على أن أعانقك البت
الماضي».

- أذكر ذلك.

وابتسمت. وهل يمكنها أن تنسى؟ ففي تلك الليلة أدركت أنها تحبه.
ـ تلك الليلة أخبرتك بأنك لست في خطر.. لكنني لم أذكر في أن
أقول.. إنني أنا من كان في خطر..

- أنت في خطر؟

- خطر الواقع في غرامك، يا عزيزتي.
ثتم بذلك بحنان بالغ، فشهقت.
ـ لم أعرف بذلك لشيء.. حينذاك.
ـ طبعاً لا.

أثراء قال حتاً إنه كان في خطر الواقع في حبها؟

- لكنني لم أعرف مثل ذلك الشعور من قبل.. وعندما فقدت سلطري
على نفسي، أدركت أن علي الرحيل وذلك لأنني نفي وأخلل مشاعري
نحوك.

- وهل قمت بذلك؟ هل حللت مشاعرك؟

- ليس حينذاك. كل ما علمته أنني في اللحظة التي افترقت فيها عنك،
شعرت بأنني أريد أن أعود. كانت الرغبة دوماً تملئني للعودة إلى البيت
ولكنني كنت أقاومها باستمرار. عندما أدركت حقيقة شعوري فهمت أن
منظرك الرائع يهدد تحكمي بشيء، ولكن لم يكن جالك فقط هو الذي
أغرتني به، أنت تتعطين بجمال داخلني.
فسألته بخجل: «وهل أنت.. مغرم بي؟»^٥.

فهو أن أمني الأسبوع الذي تلاه وخيالك لا يبارحني».

حدقت مالون إليه مسورة: «هل فكرت بي أحباباً؟»^٦.

- بل غالباً. حين جئت إلى البيت، لم أستطع أن أتفكر فكرة أنني في
البيت وأنت في الفندق.

وابسم ثم أضاف: «كنت أعلم أنني لن أستطيع الاستقرار قبل أن
أذهب إلى الفندق صباحاً لأحضرك. وإذا بالغيط يتملكني عندما علمت أنني
كنت أفكرك، وأنت تمضي الوقت مع رجل اسمه ويلسن».

ـ سأله: «ويلسن؟ توني ويلسن؟

- كيف أمكنك القيام بذلك؟

- القيام بماذا؟

- يزداد كل يوم حتى على الرجل، بينما أنت لا تكادين تذكريه.

- أنت.. حاتق على..

- أظن أن شعوري يسمى (غيره).

أجبابا وفي عيده حنان، فخفق قلبه بعنف وسأله غير مصدقة: «هل
كنت غيوراً؟ لكتنا بالكاد كنا نعرف بعضنا حينذاك».

فقال برقه: «يا عزيزتي. ما أشعر به نحوك غير منطقى على الإطلاق.
لقد سرت لعدم وجود هاتف في منزل كيلا يصل بك ويلسن. لكنني لم
أرتك الهاتف إلا لأمنع عي»، فليليس إليك حاملاً رسالة من أمك. شعرت
حينذاك بالغيرة لم الغضب، إنما أدركت أنني أحب أن أجده في بيتي فلم
تعجبني على الإطلاق مسألة حزمك حقيرتك لتمضي العطلة الأسبوعية في
فندق كليفتون».

لثالث مذكرة: «أنت طلبت مني البقاء».

- وعندما لم أستطع مقاومة رغبتي بك، كان على أن أدعى أنها رغبتك
أنت.

- أنت سافل!

ويند عل فمه ابتسامة استخفاف، وهو يتابع: «كان يجب أن أقدمها لك بصفتها مصممة ديكور جاءت لتألق نظرة عل البيت، لكنك جعلتني مضطرباً يا مالون».

ـ أنا.. جعلتك كذلك؟

ـ صدقيني يا حبيبي، كنت متلهفاً لرؤيتك، لكنني كنت أعلم أن عل البقاء بعيداً. اضطررت للقدوم لرؤيتك لأنني لم أستطع أن أبقى بعيداً لأول مرة في حياتي، شعرت بالضعف ومررت أوقات كنت متلهفاً فيها إلى احتضانك. وبعد ما حصل بيننا منذ أسبوع بداتأشعر بأنني لم أعد أثق بنفسي حين أكون معك، وازداد خوفي من أن ترحل إذا تكرر الأمر. ثم ما الذي يضمن لي أنت لن تواجه وضعاً مماثلاً في ذلك البيت اللي بالأنفاس والعقبات.

حدقت مالون إليه مصعورة: «هل أحضرت ثياباً هولز إلى البيت لأنك..».

ـ لأنني لم أستطع الابتعاد عنك أكثر من ذلك. رغم أن فاي هي التي اتصلت بها أولاً، إلا أنها شعرت بأن ليس بإمكانها المجازفة بالبقاء معك وحدها. كنت في حالة سبعة تماماً، ولكنني لم الحق بك أي ضرر، يا حبيبي. وابتسم. تلك مالون شعور بأنه لو استمر هاريس بهذا الشكل مدة أطول، لفقدت توازها وثباتها.

ـ لكن فاي لم تقبل المجيء؟
ـ كانت مشغولة..

فقطتته باسمه: «طبعاً. ولهذا اتصلت هي بثياباً..».
وسكتت، بينما هز رأسه: «كانت لها فتني تزداد لرؤيتك، وتساءلت عما إذا كنت أجازف بالذهاب إلى البيت. على كل حال، اتصلت بي فاي لتقول إن صديقتها ثياباً تتشوق لرؤية المنزل بعد أن حدثتها فاي عنه وعن شفتها به».

نظر إلى وجهها، ثم قال بحنان: «عزيزتي مالون بريتويت، حبيبتي مالون بريتويت، ماذا أحاول أن أخبرك منذ عشر دقائق غير أنني أحبك إلى أقصى حد؟».

ـ فناؤهت: «أواه، يا هاريس».

ـ هل لديك مانع؟

ـ فأجابـت لامحة: «لا، أبداً».

ـ وهـل تظـنين أن بإمكانـك أن تـبـادـلـينـيـ الحـبـ؟ سـأـلـهـاـ بـحـذرـ،ـ ثـمـ أـسـرعـ يـقـولـ وـهـوـ يـرـىـ أنـ خـجلـهـاـ يـعـنـعـهاـ مـنـ الجـوابـ:ـ «ـأـنـاـ أـعـلـمـ أـنـكـ تـعـرـضـ لـلـأـذـىـ فـيـ الـمـاضـيـ،ـ لـكـنـ لـنـ أـؤـذـيـكـ أـبـداًـ.ـ أـنـتـ تـعـلـمـيـنـ ..ـ».

ـ شـعـرـتـ مـالـونـ بـالـشـاطـ وـالـخـفـةـ وـعـصـفـتـ فـيـ ذـهـنـهـ فـجـأـةـ ذـكـرـيـ ماـ سـبـبـهـ لـهـ زـيـارتـهـ مـنـ يـوـمـيـنـ مـنـ أـذـىـ وـأـلمـ.ـ عـنـدـئـلـ،ـ اـخـفـتـ كـلـ حـرـارـةـ نـحـوهـ،ـ فـسـأـلـهـاـ هـارـيسـ عـلـىـ الفـورـ:ـ «ـمـاـ الـذـيـ حـدـثـ؟ـ أـخـبـرـيـ».

ـ مـاـ هـيـ عـلـاقـتـكـ بـثـيـابـاـ هـولـزـ؟ـ

ـ انـفـجـرـتـ بـهـ وـقـدـ ثـارـتـ مـشـاعـرـهـاـ نـحـوهـ بـشـكـلـ مـؤـلمـ.

ـ فـقـالـ مـنـ دـوـنـ تـفـكـيرـ مـسـبـقـ:ـ «ـلـاـ عـلـاقـةـ لـيـ بـهـاـ».

ـ وـلـمـ أـحـضـرـهـاـ إـذـنـ إـلـىـ بـيـتـ الـأـحـدـ الـمـاضـيـ؟ـ وـلـمـ تـجـولـ مـعـهـاـ لـتـرـيـهـ الـبـيـتـ،ـ وـسـأـلـهـاـ عـمـاـ إـذـاـ كـانـ رـأـتـ مـاـ يـكـفيـ،ـ ثـمـ..ـ هـذـهـ الـرـبـرـ،ـ انـفـجـرـ هـارـيسـ قـائـلاـ:ـ «ـثـيـابـاـ هـولـزـ اـمـرـأـ مـوـهـوبـةـ فـيـ تـصـيـبـ الـدـيـكـورـ».

ـ فـتـحـتـ مـالـونـ فـاهـاـ:ـ «ـوـلـكـنـ ..ـ».

ـ وـعـنـدـمـاـ أـخـدـتـ تـسـعـيدـ أـحـدـ الـأـحـدـ الـمـاضـيـ بـدـقـةـ،ـ وـجـدـتـ أـنـ كـلـامـ هـارـيسـ يـيـدـوـ مـعـقـلـاـ جـداـ.ـ فـقـالـتـ وـقـدـ ثـالـكـتـ نـفـسـهـاـ قـالـياـ:ـ «ـلـكـنـكـ لـمـ تـذـكـرـ ذـلـكـ.ـ كـانـ يـعـدـرـ بـكـ أـنـ تـذـكـرـ الـأـمـرـ حـينـ ..ـ».

ـ الـحـقـ مـعـكـ طـبـعاـ.

- وعند ذلك اتصلت أنت بثياب؟
لامس هاريس خط مالون بحنان: «عندئذ، اتصلت بها. أخبرتها أن
لدي تصوري الخاص بالنسبة إلى البيت، لكنني أرحب بتلقي أي اقتراحات
لحب أن تقدمها. وهكذا...».
وبدا الأسف في نظراته: «جئت ورأيك، فشعرت بخففان في صدري.
بدوره رائعة وأنت تحضرين الأزهار البرية، فتمسحت لو أن في بيان على بعد
مئة ميل من هنا».

ابنهم وهو يضيف: «أردتك كلث لي وحدني، يا مالون».

فقالت بتعجب: «ثم عدت تاركاً ثياباً في السيارة».

- كنت بحاجة إلى قضاء بعض الوقت معك، أردت أن أعاشرك. لقد
شعرت جيداً بضعف لم أشعر بمثله من قبل.
فقالت وهي ترجمف: «هل كنت.. كذلك حفا».

- نعم. عدت إلى لندن رغم إرادتي وحصلت على العودة في عطلة
الأسبوع، والذهاب إلى فندق كليفتون باكرًا لأحضرك إلى البيت، هذا إذا
كنت لا تريدين النوم تحت السقف نفسه معي.

- وماذا؟
سألته ورأسها يدور فيما قبلها يخفق.

عانتها مرة أخرى، وشد قليلاً أثناء احتضانها: «لم استطع الانتظار
حتى الجمعة لأسمع صوتك».

فهمست: «وهكذا اتصلت بي ذلك الصباح».

- وأدركت، حملتا قلت إنك راحلة، أني لا أستطيع أن أدعك تذهبين
وأنني أحبك بكل عصب من جسدي.

وسكت للحظة قبل أن يتابع: «عندما أدركت أني لا أملك دليلاً
أتعقب به، أخذ العرق البارد يتصرف مني. كان علي أن أشعر عليك فالحياة
من دونك يا حبيبي، لا تحمل».

فنهدت: «آه، يا هاريس».
- هل يعني كلامك أنك.. مسؤولة لوجودي؟
فضحكت بصرخ: «أنت تعلم ذلك».
- وهل غبتي قليلاً؟
إنها تحبه، تحبه، تحبه: «بل.. أحبك كثيراً».
- يا حبيبي.
فقد سبّطرته على نفسه وجدها إلى صدره حيث أبقاها طويلاً، ثم سالها
بلهفة وهو ينظر في عينيها: «هل أنت واثقة؟».
- أجل، ومنذ تلك الليلة التي تصادمتنا فيها في الحمام.
فقالها مذعولاً: «علمت جيداً».
- كان هناك دلائل من قبل، لكنني، جيداً، تأكدت من الأمر.
- حبيبتي الخلوة!
قال هذا بصوت خافت، وعانتها، ثم عاود الكزة. توقد أخيراً
وذراعاه حولها، ثم قادها إلى الأريكة حيث جلا متلاصقين. عانتها وهو
يهمس لها بذلك الكلمات السحرية التي تحب سماعها: «مالون، مالون، كم
أحبك».
وعندما غاصت في وهج حبه، وعجزت عن الكلام، سالها:
«وأنت؟».
ابتسمت ثم أضافت: «وأنا أحبك كثيراً جداً».

يقى بحضورها دقائق طويلة ثم قال: «لم أكن أعلم ما إذا كان علي أن آتي
إلى هنا ليلاً أم في الصباح الباكر. لكنني عانيت الأمرين، ولم أستطع أن أنظر
حتى الغد.. لم أكن واثقاً من طبيعة استقبالك لي».
ونظر إليها بابتسمة عربية. فابتسمت له بمحب، ثم تابع بقول:
«وقفت عند العتبة حين فتحت لي الباب، متلهفاً لاستثني من ملاحمك

شئاءً.

- آه، يا هاريس، شكرأ لمجبنك.

لم تكن تتصور أنه قد يتردد إلى هذا الحد، وتابعت تقول من كل قلبيها:
«أنا أيضاً كنت أتعذب».

- آه، أنا آسف.

عائقها وكأنه يمحو ما حانته من عذاب. وعندما نظر في عينيها،
 أصبحت عيناه رزيتين. وسألها: «لماذا حاولت أن تتركي؟ عليك أن
 تخبرني».

تورد وجهها وهي تعرف: «ظلتت أنك ستحضر معك قيبيان هولز إذا
 جئت في العطلة. أنا آسفة يا هاريس، لكن عجرد التفكير في إنكم معاً بجانبي
 لا يمكنني أن أتحمله».

و قبل أن تنتهي كان يضمها إلى قلبه بشدة وهو يبتسم: «آه، يا
 حبيبتي».

لنم أبعدها عنه ونظر في عينيها: «هل تغارين؟».

- تبدو عليك الدعشة.

فوضحك: «لم تخطر هذه الفكرة بيالي فقط».

عائقت لأنها غبية، فهي لا تكاد تصدق ما يحدث. وارتدىت إلى الوراء،
 لترى وجهه وإذا بها تسمع هدير سيارة تقترب.

- يبدو أن أمي وجون عاداً باكراً. أنا...

- أنت ماذا؟

- حسناً، أرادت أمي أن تعلم ما الذي حدث ليجعلني أحضر إلى هنا.
 لقد أخبرتها بأنني أحبك...

ابتسامة هاريس المفاجئة جعلتها تكت لكتها شعرت بأن عليها أن
 تخبره بالحقيقة قبل أن تدخل أمها: «كما أنتي أخبرتها بأن لديك صديقة».

- تعنين بذلك قيبيان هولز؟

أومأت، فابتسم وقال: «إذن يا حبيبتي، على أن أخبرها الحقيقة..
 ومن الأفضل أن أفعل ذلك قبل أن أسألهما».

- تسألهما ماذا؟

سألها عندما سكت عن الكلام: «حسناً، من المفترض أن أطلب من
 أمك أو من زوجها، ألا تعلمين؟».

- ماذا تطلب؟

سألها وهي تشعر بالارتباك.

- أظن أن العادات تقضي بأن أطلب بده من أمك. أنا لم أفعل هذا من
 قبل، لكنني أود القيام بذلك وفقاً للأصول.

سألها بضعف: «تطلب بده؟».

- نحن متزوج، أليس كذلك؟

سألها وقد تحولت ملامحه إلى الرزانة. ازدردت مالون بريقها بصعوبة،
 وتلتها بخفة بعف. لم تكن تظن أنها..

- هل تتزوجيني؟ لن أست مجلك.

- يسعدني أن أتزوجك.

تنفس الصعداء: «شكراً يا حبي».

تمشم بذلك وهو يرفع يدها إلى شفتيه: «عندما نعود إلى بيتك بعد شهر
 صل طويل، قد يكون «هاركورت هاوس» جاهزاً لاستقبال سيدته».

وشهقت مالون بعجب: «أنا؟».

- أنت فقط.

وعائقها بحنان.

- آه، يا هاريس.

هتفت بذلك. ستكون سيدة «هاركورت هاوس» وزوجة السيد! ما
 أروع الحياة!